تبرك الصحابة

بآثار رسول الله صلي الله عليه

وبيان فضلة

للعلامه المحقق المؤرخ الباحث الشيخ

محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي

المكي الخطاط





تاليف

العلامة المحقق المؤرخ الباحث الشيخ
محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردى
المكى الخطاط

رقم الإيداع ٩٣٦٧/٩٧
I.S.P.N 911/5437/31/8



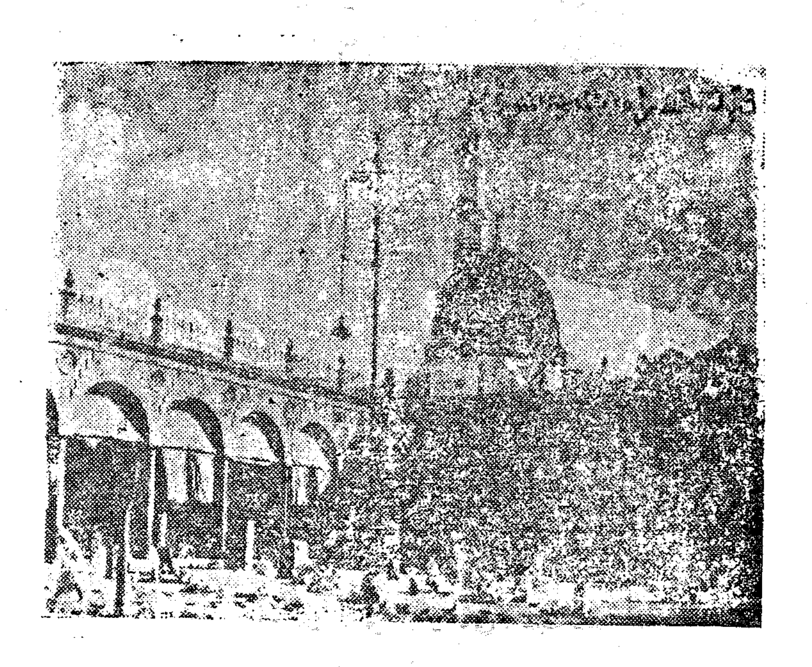


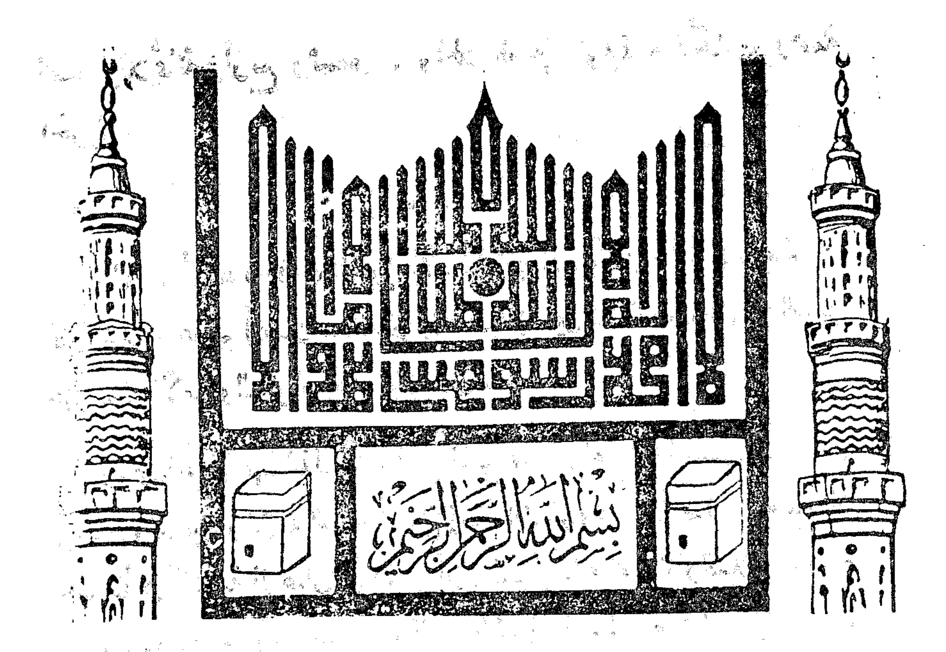
الطبعة الثالثة

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م



صورة
محمد طاهر الكردي
أخذت له فى أول ذى الحجة سنة ١٣٩١
وقد بلغ من العمر سبعين عاما ولله الحمد





الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين (وبعد) فهذه رسالة فريدة ، فى موضوعها وافية ، ولصدور المؤمنين شافية ، جمعت فيها كثيراً من الأحاديث الصحيحة فى تبرك الصحابة رضى الله عنهم بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء من آيات الذكر الحكيم تنويهاً بفضله العظيم ورفع ذكره وعظم قدره صلى الله عليه وسلم .

كيف وقد فضله الله تعالى على العالمين ، وختم به الأنبياء والمرسلين ، وخصه بالمقام المحمود يوم الدين ، وفضل أمته تكريماً له على الأمم السابقين راجياً من المولى الكريم أن ينفع بها من تلقاها بقلب سليم ، وأن يجزل لى المثوبة عليها حتى أسعد فى الجنة بالجوار الكريم وذلك هو الفوز العظيم إنه أكرم مسئول .

وقد ألفت هـــذه الرسالة فى سنة (١٣٧٤) ألف وثلاثمائة وأربع وسبعين هجرية بمكة المكرمة ، وطبعتها لأول مرة فى سنة (١٣٨٥) ألف وثلاثمائة وخمس وثمانين هجرية ، ثم أعدت طبعها للمرة الثانية سنة ١٣٩٤

الف وثلاثمائة وأربع وتسعين . والحمد لله على توفيقاته الكثيرة ونعمه الجزيلة .

* * *

واعلم ـ أرشدنا الله تعالى وإياك : أن التبرك : بآثار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين سنة مأثورة عند المؤمنين منذ القدم لما لهم من الفضل على سائر الأمم والكرامة عند الله تعالى .

روى أنه فى عهد الخليفة العباسى المتقى لله إبراهيم بن المقتدر سنة ٣٣١ إحدى وثلاثين وثلثمائة هجرية أرسل إليه ملك الروم كتاباً يطلب فيه منديلا محفوظاً فى كنيسة الرهبان يزعمون أن المسيح عليه الصلاة والسلام مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وقال للخليفة إن أرسلت هذا المنديل أطلقت لك عشرة آلاف أسير من المسلمين، فأحضر الخليفة الفقهاء واستفتاهم فأفتوا بأن يرسل إليه هذا المنديل ففعل وأطلق سراح الأسرى المسلمين (راجع تاريخ الخميس) .

ولا شك أن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوة خلق الله وأفضل النبيين أثبت وجوداً وأشهر ذكراً وأظهر بركة فهى أولى بذلك وأحرى . وقد شهدها الجم الغفير من أصحابه وأجمعوا على التبرك بها والاهتمام بجمعها وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون فتبركوا بشعراته صلى الله عليه وسلم وبفضل وضوئه وبعرقه وبثيابه وآنيته وبمس جسده الشريف وبغير ذلك مما عرف من آثاره الشريفة التى صحت بها الأخبار عن الأخيار .

فلا جرم أن كان التبرك بها سنة الصحابة رضى الله عنهم ، واقتفى آثارهم فى ذلك من نهج نهجهم من التابعين وصلحاء المؤمنين .

وقد وقع التبرك ببعض آثاره صلى الله عليه وسلم فى عهده وأقره ولم ينكر عليه فدل ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته ولو لم يكن مشروعاً لنهى عنه صلى الله عليه وسلم وحذر منه .

وكما تدل الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته تدل على قوة إيمان الصحابة وشدة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم على حد قوله الشاعر :

أمر على الديار ديار سلمى … أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي … ولكن حب من سكن الديارا

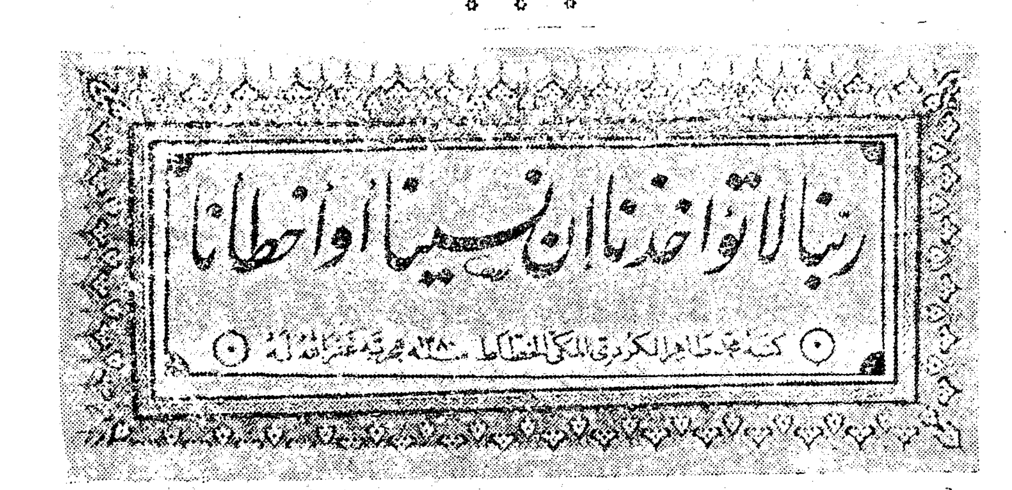
وعلى حد قول العلامة أبي الحسن الحصري القيرواني القرشي رحمه الله تعالى المولود في سنة (٤٢٠) أربعمائة وعشرين هجرية ، ولقد رحل إلى مدينة « سبتة » في أقصى بلاد المغرب فاشتغل فيها بتدريس القراءات فتخرج عليه جماعة كثيرة في هذا العلم ، وقد نظم في فن القراءات رائيته الشهيرة ، وهي منظومة في قراءة نافع رحمه الله تعالى تقع في (٢١٢) بيتا ، وهو صاحب القصيدة الشهيرة التي أولها « ياليل الصب متى غده » وله مؤلفات قيمة نافعة .

ولما رحل من مدينة القيروان ذهب لزيارة قبر أبيه مودعا ، وحمل معه حفنة من تراب القبر وقال :

سأحمل من ترابك في رحالي … لكي أغنى به عن كل طيب

إنه حمل من تراب قبر أبيه حفنة ليتذكر به والده فيدعوله ويترحم عليه رحمهما الله تعالى آمين . وكل ذلك من الحب العميق وليس في ذلك من بأس .

* * *



وسيرى القارىء فى هذه الرسالة الوقائع المعينة التى جاءت بها الأحاديث الصحيحة الدالة على تبرك الصحابة ومن بعدهم بالآثار النبوية الشريفة ، ومنها ماروى فى غزوة بدر أنه بينما الرسول صلى الله عليه وسلم بين الصفوف يعدلها بقضيب فى يده إذ مر بسواد بن غزية حليف بنى النجار وهو خارج عن الصف فدفعه بالقضيب فى بطنه وقال له استقم ياسواد فقال سواد أوجعتنى يارسول الله وقد بعثت بالحق والعدل فأقدنى من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد ياسواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه وقال صلى الله عليه وسلم ماحملك على ذلك ، فقال يارسول الله قد حضر ماترى فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له صلى الله عليه وسلم .

فانظر إلى هذا الاعتقاد الراسخ والحب العظيم من الصحابة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

* * *

بل إن الحب لذات رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا فى الناس منذ نشأته بينهم فلقد جمع صلى الله عليه وسلم من الصفات العالية والشمائل الحميدة السامية والفضائل العظيمة التى سنذكر شيئاً منها فى آخر هذه الرسالة إن شاء الله تعالى ما حببه إلى قلوب جميع قومه من قريش ، حتى لقد كانوا يسمونه فى شبابه « الأمين » فلما بعثه الله تعالى إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأيده الله تعالى بالمعجزات الباهرة ، ازداد المؤمنون له حباً ، وبه تعلقاً ، وكيف لا وهو رسول الله وخليل الله وصفى الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

إنه لحب عميق ، وتوقير عظيم مشهود ، ولذلك لما أرسلت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية رسولهم عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف ، ورأى عروة مايصنع الصحابة رضوان الله عليهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان لا يتوضأ وضوءاً إلا كادوا يقتتلون عليه يتمسحون

به وإذا تكلموا اخفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر إليه . رجع عروة إلى قريش وقال لهم : والله يا معشر قريش جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى عظمته فما رأيت ملكاً فى قومه مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشىء أبدا فانظروا رأيكم فإن عرض عليكم رشداً فاقبلوا ماعرض عليكم فإنى لكم ناصح ، مع أنى أخاف أن لا تنصروا عليه .

أحب الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحب العظيم ، الخالص الصادق ، وأحبه المؤمنون فى كل زمان ومكان أكثر من محبتهم لأنفسهم وأولادهم وأموالهم وآثروه على كل شىء محبوب وحرصوا على ما عرف من آثاره للتبرك بها .

ومن ذلك ماسنقصه فى هذه الرسالة فى ستة فصول وخاتمة ليكون القارىء على بصيرة فى أمرها وتكون له نوراً على نور .

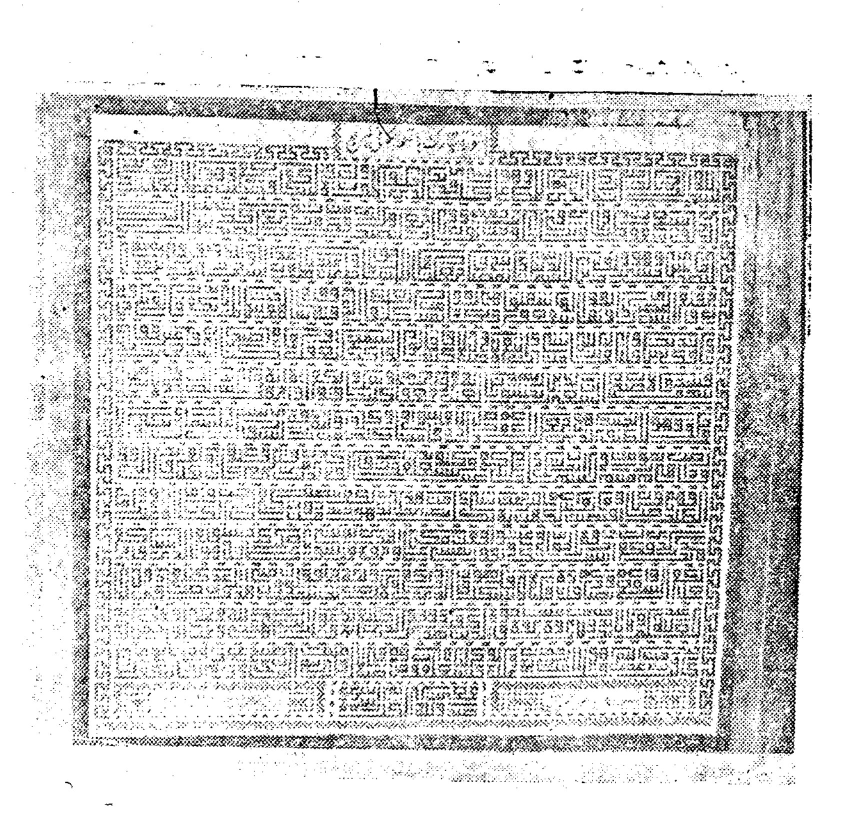
* * *

نسأل الله الهداية والتوفيق لأقوم طريق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

محمد طاهر بن عبد القادر الكردى

المكى الخطاط بمكة المكرمة



الفصل الأول

فى تبرك الصحابة بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم

وعظيم محبتهم له عليه الصلاة والسلام

لقد حرص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على آثاره الشريفة وكانوا يتبركون بها حتى إنهم كادوا يقتتلون على ما يتقاطر من أعضائه عليه الصلاة والسلام من الماء إذا توضأ وهو يرى ذلك ويقرهم عليه فكان ذلك دليلا على جواز التبرك به شرعا .

روى الشيخان فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال « فأتى النبى صلى الله عليه وسلم أعرابى فقال ألا تنجز لى ما وعدتنى ، فقال له أبشر ، فقال قد أكثرت على من أبشر ، فأقبل على أبى موسى و بلال كهيئة الغضبان فقال « رد البشرى فاقبلا أنتما ، قالا قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ، ثم قال اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا ، فأخذا القدح ففعلا ، فنادت أم سلمه من وراء الستر أن أفضلا لأمكما فأفضلا لها منه طائفة » .

« أخرجه البخارى فى كتاب المغازى فى غزوة الطائف ، وأخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة فى باب فضائل أبى موسى — الخ » .

وكذلك كانوا رضى الله عنهم يتبركون بنخامته وفضل وضوئه وبشعره وبقدحه الذى كان يشرب فيه وآنيته صلى الله عليه وسلم ، ففى كتاب الشروط من صحيح البخارى فى قصة صلح الحديبية أنه كان إذا تنخم عليه الصلاة والسلام أخذ الصحابة نخامته ودلكوا بها وجوههم وأجسادهم وهو ينظر إليهم ،

وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . والوضوء « بفتح الواو » ماتقاطر من ماء وضوئه عن أعضائه الشريفة .

وأخرج البخاري في صحيحه في « باب خاتم النبوة » بإسناده إلى الجعيد ابن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد قال ذهبت بي خالتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن ابن أختي وقع . فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه الخ ، ومحل الاستدلال منه قول الصحابي فشربت من وضوئه .

وأخرج البخاري أيضا في « باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم » عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك .

وأخرج البخاري في « باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم » أيضا بإسناده إلى أبي جحيفة المذكور قال دفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالأبطح في قبة كان بالهاجرة فخرج بلال فنادى بالصلاة ثم دخل فأخرج فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع الناس عليه يأخذون منه - الحديث وكانوا يجمعون الماء الذي توضأ به في إناء للتبرك به لكونه مس جسده الشريف وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضا في كتاب الوضوء في « باب استعمال فضل وضوء الناس » .

وأخرج البخاري أيضا في كتاب اللباس في « باب القبة الحمراء من أدم » بإسناده إلى أبي جحيفة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة حمراء من أدم (جلد) ورأيت بلالا أخذ وضوء النبي صلى الله عليه وسلم والناس يبتدرون الوضوء فمن أصاب منه شيئا تمسح به ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه وهو بمعنى حديث أبي جحيفة السابق ، وقد

أخرجه البخارى أيضاً فى كتاب الصلاة فى « باب الصلاة إلى العنزة وباب السترة بمكة » .

وفى الصحيح : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حلق رأسه دفع شعره إلى بعض أصحابه كأبى طلحة الأنصارى يفرقه على أصحابه للتبرك به .

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل رواه مسلم .

فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى عظيم حب الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يحتفظون بشعرة من شعراته صلى الله عليه وسلم ، كما يتلقون رشاش وضوئه وبلله - ونخامته صلى الله عليه وسلم بأيديهم فيتمسحون بها رجاء البركة ، اللهم صل وسلم وبارك عليه .

أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره ، وأخرجه أبو عوانة فى صحيحه ولفظه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الحلاق فحلق رأسه ودفع إلى أبى طلحة الشق الأيمن ثم حلق الشق الآخر فأمره أن يقسمه بين الناس .

ورواه مسلم من طريق ابن عيينة عن هشام بن حسان عن ابن سيرين بلفظ « لما رمى الجمرة ونحر نسكه ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس » .

وله من رواية حفص بن غياث أنه قسم الأيمن فيمن يليه ، وفى لفظ فوزعه بين الناس الشعرة والشعرتين وأعطى الأيسر أم سليم ، وفى لفظ وأعطى الأيسر أبا طلحة .

« فإن قيل » في هذه الروايات شبه تدافع « فالجواب » أنه لاتدافع إذ يجمع بينها بأنه ناول أباطلحة كلا من الشقين ، فاما الأيمن فوزعه أبو طلحة بأمره بين الناس ، وأما الأيسر فاعطاه لأم سليم زوجته بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أيضا وزاد أحمد في رواية له لتجعله في طيبها فأمره عليه الصلاة والسلام بتفريق شعره بين أصحابه للتبرك به .

وحرصهم على ذلك وازدحامهم عليه حتى ينال منه أحدهم الشعرة والشعرتين فيه أقوى دليل على أن التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم كان أمراً مطرداً شائعاً بين أصحابه رضى الله عنهم سائغاً شرعاً لإقرارهم عليه .

فلا ينكره إلا من لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه انتهى من زاد المسلم بزيادة .

وجاء في تاريخ الخميس : وفي منهاج النووى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى ، أي في حجة الوداع ، ثم أتى الجمرة ولم يزل يلبي حتى رمى ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس .

وفي المناسك للكرماني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رمى جمرة العقبة رجع إلى منزله بمنى ثم دعا بذبائح فذبح ثم دعا بالحلاق فأعطاه شقه الأيمن فحلقه ثم دفعه إلى أبي طلحة ليفرقه بين الناس ، ثم أعطاه شقه الأيسر فحلقه ثم دفعه إلى أبي طلحة ليفرقه بين الناس ، قيل وأصاب خالد بن الوليد شعرات من شعرات ناصيته صلى الله عليه وسلم .

وفي الشفاء كانت شعرات من شعره عليه السلام في قلنسوة خالد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر . انتهى من تاريخ الخميس .

وأخرج البخاري في صحيحه أثناء كتاب الوضوء في « باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان » بإسناده إلى ابن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أومن قبل أهل أنس فقال لأن

تكون عندى شعرة منه أحب إلى من الدنيا ومافيها كذا فى لفظ البخارى ، وأخرجه الاسماعيلى وفى روايته أحب إلى من كل صفراء وبيضاء .

ومما هو معلوم فى السنة من تبرك أصحابه بشعره الشريف وبجميع ماخالط جسده الشريف ماثبت من جعل خالد بن الوليد بعض شعره عليه الصلاة والسلام فى قلنسوته فكان يدخل بها فى الحرب ويستنصر ببركته عليه الصلاة والسلام ، ولما سقطت عنه قلنسوته يوم اليمامة شد عليها شدة حتى أخذها فأنكر عليه بعض الصحابة ذلك قبل علمهم بما فيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنهم أنه خاطر بنفسه على قلنسوة لاقيمة لها فقال خالد إنى لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة لكن كرهت أن تقع بأيدى المشركين وفيها من شعر النبى عليه الصلاة والسلام فرضوا عنه وأثنوا عليه .

وأخرج البخارى أيضاً فى كتاب اللباس فى « باب مايذكر فى الشيب » بإسناده إلى اسرائيل بن يونس عن عثمان بن عبدالله بن موهب مولى آل طلحة أنه « قال أرسلنى أهلى إلى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بقدح من ماء « وقبض اسرائيل ثلاث أصابع » من فضة فيه شعر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شىء بعث إليها مخضبة فاطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمرا » .

قوله وقبض اسرائيل ثلاث أصابع إشارة إلى صغر القدح وقال الكرمانى هو إشارة إلى عدد إرسال عثمان المذكور إلى أم سلمة ، وقوله من فضة بكسر الفاء وضاد معجمة بيان لجنس القدح وهذا الضبط ذكره الحيدى فى الجمع بين الصحيحين كما نقله ابن حجر ، وقوله فيه أى فى القدح وقوله مخضبه هو من جملة الآنية ، والجلجل بضم الجيمين هو شىء يشبه الجرس يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس ، يوضع فيه مايراد صيانته ، وهذا الحديث أخرجه ابن ماجه فى اللباس من سننه أيضاً .

قال فى الفتح والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه وتعيده فيشربه صاحب الإناء أو يغتسل به استشفاء بها فتحصل له بركتها .

وقال القسطلانى والحاصل من معنى هذا الحديث أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم حمر محفوظة للتبرك فى شيء مثل الجلجل، وكان الناس يستشفون بها من المرض، فتارة يجعلونها فى قدح من ماء ، ويشربونه وتارة فى إجانة من الماء فيجلسون فى الماء الذى فيه الجلجل الذى فيه تلك الشعرات الشريفة اهـ ، هكذا كان دأب الصحابة وتابعيهم رضوان الله عليهم أجمعين .

وجاء فى الجزء الخامس من كتاب « زاد المسلم » عند ترجمة أبى أيوب الأنصارى راوى الحديث الذى فى الصحيحين وهو « يهود تعذب فى قبورها » ما نصه : وروى عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب أخذ من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا يصيبك السوء يا أبا أيوب ، وفيه أيضاً : روى ابن السكن من طريق صفوان بن هبيرة عن أبيه قال قال ثابت البنانى قال لى أنس بن مالك هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فضعها تحت لسانى قال فوضعتها تحت لسانه فدفن وهى تحت لسانه .

وعن محمد بن عبد الله الأنصارى قال حدثنى أبى عن ثمامة عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبي صلى الله عليه وسلم نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال فإذا نام النبى صلى الله عليه وسلم أخذت من عرقه وشعره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك ، قال فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن تجعل فى حنوطه من ذلك السك ، قال فجعل فى حنوطه ، رواه البخارى ، فى أواخر كتاب الاستئذان .

السك بضم السين المهملة نوع من الطيب ، والظاهر والله تعالى أعلم : أن أم سليم رضى الله تعالى عنها كانت تخلط عرقه صلى الله عليه وسلم بنوع من الطيب المعروف فى ذلك العصر للتبرك ، فسيدنا أنس بن مالك رضى الله

تعالى عنه أوصى أن يجعل فى حنوطه عند تكفينه من ذلك المسك المخلوط بعرق النبى صلى الله عليه وسلم لجعل فى حنوطه ، تبركا وحباً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم صل وسلم وبارك عليه .

وذكر فضيلة العلامة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق حفظه الله تعالى من كل سوء ، فى كتابه (فتاوى شرعية وبحوث إسلامية) بصحيفة ٣٥٧ بعد الكلام على غسل زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها رضى الله تعالى عنها : وأنه صلى الله عليه وسلم أمر النساء اللاتى توليبن غسلها رضى الله تعالى عنهن أن يخبرنه بعد فراغهن من غسلها . فلما فرغن وأخبرنه أعطاهن حقوه بفتح فسكون أى إزاره ليجعلنه على جسدها ثم بعده الكفن .

قال حفظه الله تعالى بعد الكلام على هذا الموضوع مانصه : وقد أعطاهن صلى الله عليه وسلم إزاره الشريف وأمرهن أن يجعلنه الثوب الذى يلى جسدها لتنالها بركته صلى الله عليه وسلم ببركة ثوبه ، وإنما أخره ولم يناولهن إياه أولا ليكون قريب العهد من جسده الشريف حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل ، لاسيما مع قرب العهد بعرقه المبارك وهذا من أمارات حبه ورحمته وشفقته على ابنته .

قال وفيه دليل على مشروعية التبرك بآثار الصالحين ، ويروى أن الإمام أحمد بن حنبل كانت عنده ثلاث شعرات من الجسد الشريف فأمر توضع واحدة على عينه وأخرى على عينه الأخرى وأخرى على فمه إذا كفن تبركا بآثاره صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى أعلم اه من الكتاب المذكور .

فهل يليق بالمؤمن أن ينكر التبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

جاء فى أوائل صحيح البخارى فى كتاب الوضوء فى باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان : حدثنا مالك بن إسماعيل قال حدثنا إسرائيل عن عاصم

عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة عندنا من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس ، فقال لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها ـ اهـ .

فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى عظيم حب الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم أجمعين بل وجميع المسلمين ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف يحتفظون بآثاره عليه الصلاة والسلام ويتبركون بها فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته وأن من الجهل الفاضح والحرمان العظيم ، أن يعترض بعض فئة من الناس فى هذا الزمان على الاحتفاظ بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك بها ـ نسأل الله تعالى السلامة والعافية من الفتن ماظهر منها وما بطن .

وانظر ماجاء أيضاً فى صحيح البخارى فى أواخر كتاب الجهاد والسير ، فى باب ماذكر من درع النبى صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك فيه أصحابه وغيرهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ـ راجع هذا الباب أيضاً لنزداد علماً ومعرفة ويقينا .

وأخرج أبو بكر بن أبى شيبة وابن أبى عاصم من طريق أبى الخير عن أبى رهم فى حديث عن أبى أيوب أنه قال : قلت يارسول الله كنت ترسل إلى بالطعام فأنظر فأضع أصابعى حيث أرى أثر أصابعك حتى كان هذا الطعام ، قال أجل إن فيه بصلا فكرهت أن آكل من أجل الملك وأما أنتم فكلوا ـ انتهى منه .

وعن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنهما قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من فى قربة معلقة قائما ، فقمت إلى فيها فقطعته ـ رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

قال شارح هذا الحديث فى رياض الصالحين : وإنما قطعتها لتحفظ

موضع فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبرك به وتصونه عن الابتذال اهـ.

فانظر رحمنا الله تعالى وإياك إلى هذه الآداب العالية الرفيعة ، والإيمان العظيم المتغلغل فى قلوبهم لله ورسوله ، من هؤلاء العرب أهل الشرف والعز والنسب ، مع أنهم كانوا قريبى العهد بالجاهلية ، فأنقذهم الله تعالى من الظلمات إلى النور بفضله ورحمته .

وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على الشرب من قدح النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى صحيح البخارى من كتاب الأشربة فى أول « باب الشرب من قدح النبى صلى الله عليه وسلم وآنيته » أن عبد الله بن سلام الصحابى الذى هو ممن أوتى أجره مرتين قال لأبى بردة ألا أسقيك فى قدح شرب النبى صلى الله عليه وسلم فيه . وقد أخرج البخارى فى هذا الباب بإسناده إلى سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه حديثاً قال فيه فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ثم قال اسقنا ياسهل فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه ، قال أبو حازم فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه « تبركا برسول الله صلى الله عليه وسلم » قال ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك من سهل فوهبه له .

وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً فى الأشربة .

وأخرج البخارى فى هذا الباب بإسناده إلى عاصم الأحول قال رأيت قدح النبى صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك ثم قال قال أنس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا القدح أكثر من كذا وكذا ، وفى رواية مسلم لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدحى هذا الشراب كله . العسل والنبيذ والماء واللبن اهـ . والمراد بالنبيذ مالم يبلغ حد الإسكار .

وفى مختصر البخارى للقرطبي أن فى بعض نسخ البخارى القديمة مانصه قال

أبو عبد الله البخارى رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه ، وكان اشترى من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف ، فقد كان هذا القدح محفوظاً عند الصحابة والتابعين للتبرك بالشرب فيه ولم يسمع عن أحد من الصحابة ولا من أئمة التابعين إنكار ذلك ولا الاستخفاف به فكيف يتوهم جاهل بالسنة أن هذا التبرك وشبهه منهى عنه أو خلاف الأفضل ، أحرى أن يوصف فاعله بالضلال أعاذنا الله تعالى منه .

وأخرج البخارى فى « باب شرب البركة والماء المبارك » بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال قد رأيتنى مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل فى إناء فأتى النبى صلى الله عليه وسلم به فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال حى على أهل الوضوء ، البركة من الله فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا آلو ماجعلت فى بطنى منه فعلمت أنه بركة ، قال سالم بن أبى الجعد قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال ألفا وأربعمائة ، وقوله لا آلو أى لا أقصر والمعنى أنه جعل يستكثر من شربه من ذلك الماء لأجل البركة .

وقول جابر فعلمت أنه بركة وإكثاره منه لأجل ذلك صريح فى أن ماعليه سلف الأمة وخلفها من التبرك بآثار النبى صلى الله عليه وسلم وبكل مالامسه أو نبع من بين أصابعه هو السنة التى يجب اتباعها والذب عنها وأن خلاف ذلك هو الضلال والإضلال ، فنسأل الله تعالى أن يميتنا على التمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أقر عليها أصحابه وأمر بها ويختم لنا بالإيمان الخالص بجواره صلى الله عليه وسلم .

وأخرج مسلم فى كتاب الفضائل من صحيحه فى « باب قرب النبى صلى الله عليه وسلم من الناس وتبركهم به » عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها .

وهذه أم أيمن بركة حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شربت بوله ففى كتاب الإصابة أخرج ابن السكن من طريق عبد الملك بن حسين عن نافع بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فخارة يبول فيها بالليل فكنت إذا أصبحت صببتها فنمت ليلة وأنا عطشانة فغلطت فشربتها فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : «إنك لاتشتكى بطنك بعد يومك هذا ، والفخارة كجبانة : الجرة» .

وعن ابن جريج قال أخبرتنى حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة بنت رقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ويوضع تحت السرير فجاء ليلة فإذا القدح ليس فيه شيء ، فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة البول الذى كان فى هذا القدح مافعلت به ، قالت شربته يارسول الله .

وأم أيمن بركة هذه كانت لعبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات صارت لأمه آمنة بنت وهب ، فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما وفى أبوه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر ، وقد ورثها صلى الله عليه وسلم من أمه آمنة ، فلما تزوج بخديجة رضى الله عنها أعتقها ثم نكحها زيد بن حارثة فولدت له أسامة بن زيد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أم أيمن أمى بعد أمى» ، وكان يزورها وكان أبو بكر وعمر يزورانها فى منزلها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها — رضى الله تعالى عنها وعن الصحابة أجمعين .

وقال صاحب تاريخ الخميس فى الجزء الثانى : وفى الشفاء روى أن أم أيمن كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان له قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئاً فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته وأنا لا أعلم فقال لن تشتكى وجع بطنك أبداً . وللترمذى لن تلج النار بطنك وصححه الدارقطنى وحمله الأكثرون على التداوى

وأخرج حسن بن سفيان فى مسنده والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم والطبرانى من حديث أبى مالك النخعى يبلغه إلى أم أيمن أنها قالت قام رسول الله من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا لا أشعر فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى فاهريقى مافى تلك الفخارة قلت قد والله شربت مافيها قالت فضحك النبى حتى بدت نواجـــذه ثم قال أما والله لايجعن بطنك أبداً .

وعن ابن جريج قال أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شىء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة ياأم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه .

وروى أبو داود عن ابن جريج عن حليمة عن أمها أميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامرأتين ، وصحح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن وهو الذى ذهب إليه شيخ الإسلام البلقينى . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أم أيمن أمى بعد أمى ، وكان يزورها ثم أبو بكر ثم عمر ، انتهى ـ من تاريخ الخميس .

وهذا سالم الحجام أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، حجم النبى صلى الله عليه وسلم وشرب دم المحجمة ـ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الدم أكله حرام .

وأخرج البخارى فى كتاب الأدب فى « باب حسن الخلق والسخاء » باسناده إلى سهل بن سعد رضى الله عنه قال : جاءت امرأة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ببردة فقال سهل للقوم أتدون ماالبردة ، فقال القوم هى

شملة فقال سهل هى شملة منسوجة فيها حاشيتها ، فقالت المرأة يارسول الله أكسوك هذه فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا إليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال : يارسول الله ماأحسن هذه فاكسنيها فقال نعم ، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم لامه أصحابه فقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا إليها ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لايسئل شيئا فيمنعه فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن فيها .

وقد أخرج البخارى هذا الحديث فى الجنائز أيضا فى باب « من استعد الكفن » والصحابى الذى سأل البردة ليكفن فيها تبركا بها هو عبد الرحمن ابن عوف كما أفاده ابن حجر فى المقدمة قائلا رواه الطبرانى ، وقيل هو سعد ابن أبي وقاص وكل منهما من العشرة المبشرين بالجنة السابقين للاسلام .

وجاء فى كتاب سيرة خير العباد « المجردة من زاد المعاد » مانصه وفى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر قالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخرجت جبة طيالسة خسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمريض يستشفى بها انتهى .

وجاء فى شرح كتاب « زاد المسلم » بصحيفة ٢١٢ من الجزء الرابع مانصه قال صاحب العقد الفريد فى شأن وفاة معاوية رضى الله تعالى عنه لما ثقل معاوية ويزيد غائب . أقبل يزيد فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالسا فأخذ بيده ودخل على معاوية وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد ثم قال معاوية أى بنى إن أعظم ماأخاف الله فيه ما كنت أصنع بك ، يابنى إنى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ

أصب الماء على يديه فنظر إلى قميص لى قد انخرق من عاتقى فقال لى يامعاوية ألا أكسوك قميصا قلت بلى ، فكسانى قميصا لم ألبسه إلا لبسة واحدة وهو عندى ، واجتز ذات يوم فأخذت جزازة شعره وقلامة أظفاره فجعلت ذلك فى قارورة ، فإذا مت يابنى فاغسلنى ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى ومنخرى وفمى ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارا من تحت كفنى ، إن نفع شىء نفع هذا . اهـ .

وهذا كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه كان شديد الحرص على المحافظة على البردة التى أعطاها له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصته مشهورة نختصرها فيما يأتى .

كان كعب من فحول الشعراء ، وكان ممن هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، فلما كان يوم الفتح خرج ناس هاربين ومن جملتهم كعب وأخوه بجير الذى كان شاعرا أيضاً، ثم إن بجيرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فسمع كلامه وآمن به وأقام عنده ، فبلغ ذلك كعبا فشق عليه إسلام أخيه بجير فكتب إليه بأبيات يعتب عليه ويلومه .

وأولها :

ألا بلغا عنى بجيراً رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فلما وقف بجير عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه من غزوة الطائف التى كانت بعد فتح مكة .

ثم إن بجيراً كتب لأخيه كعب كتابا فيه أربعة أبيات :

أولها :

من مبلغ كعباً فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلا وهو وهو أحزم

وكتب يقول له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمك فإن كان لك فى نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه بما تقدم الإسلام — فأشفق كعب على نفسه وقال قصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المدينة يريد الإسلام ، فلما وصل إليها نزل على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة ، فأتى به إلى المسجد ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم إليه واستأمنه فقام كعب إلى النبى عليه الصلاة والسلام حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه، ثم قال يارسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، فقال يارسول الله أنا كعب بن زهير ، فقال الذى يقول ماقال ثم أقبل على أبى بكر فاستنشده الشعر فأنشده أبو بكر « سقاك بها المأمون كأساً روية » فقال كعب لم أقل هكذا وإنما قلت :

سقاك أبو بكر بكأس روية فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله — فوثب إليه رجل من الأنصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاءنا تائبا نازعا « أى خارجا من الكفر » ثم أنشد كعب بن زهير قصيدته « بانت سعاد » بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع فلما وصل إلى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ألقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته التى كانت عليه .

ولقد بذل معاوية بن أبى سفيان لكعب فى هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم ، فقال كعب ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فأخذها منهم ، وهى البردة التى كانت عند السلاطين ، قال ابن قانع عن ابن المسيب إنها التى يلبسها الخلفاء فى الأعياد ، لكن قال الشامى ولا وجود لها الآن لأن الظاهر أنها فقدت فى وقعة التتار . انتهى من شرح قصيدة بانت سعاد .

* * *

وفى صحيح مسلم : أنه صلى الله عليه وسلم وجد أم سليم تجمع عرقه الشريف فتعصره فى قواريرها لما نام على نطع فى بيتها ، فلما استيقظ قال ما تصنعين يا أم سليم ، فقالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا ، فقال لها أصبت .

فقد أخرج مسلم ذلك بثلاثة أسانيد : فى « باب طيب عرق النبى صلى الله عليه وسلم » ـ انتهى كل ذلك نقلا من زاد المسلم .

* * *

نقول : إن ماتقدم من احتفاظ الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم للتبرك لا يستغرب فإنه رسول الله وخليل الله وحبيب الله وأكرم الخلق على الله وهو أجمع بشر فى الوجود للخير والبركة فكيف لا يتبرك بكل آثاره وقد كان أحب إلى أصحابه من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وكل آثاره أحب إليهم من أولئك .

وهذا بلال رضى الله عنه لما قدم من الشام إلى المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلبوا منه أن يؤذن لهم كما كان يؤذن فى حياته عليه الصلاة والسلام ، واجتمع أهل المدينة رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم ليستمعوا إلى أذانه ، فلما قال الله أكبر الله أكبر صاحوا وبكوا جميعا ، ولما قال أشهد أن لا إله إلا الله ضجوا جميعا ، ولما قال أشهد أن محمدا رسول الله لم يبق فى المدينة أحد إلا بكى وصاح ، وخرجت العذارى والأبكار من

خدورهن يبكين ، وصار كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لتذكرهم ذلك العهد النبوى الزاهر الأنور الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم .

وعن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر - رواه الامام مالك فى الموطأ فى ما جاء فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بصحيفة ١٣٨ من الجزء الأول .

وجاء فى ترجمة الإمام مالك رحمه الله تعالى ورضى عنه التى فى أول الموطأ : كان مالك لا يركب فى المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول لا أركب فى مدينة فيها جثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة ، وهذا من عظيم احترامه ومحبته للنبى صلى الله عليه وسلم - ومن عظيم احترامه وإجلاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى ترجمته فى الموطأ أيضاً : أنه إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ .

وفى ترجمة الامام البخارى رحمه الله تعالى ورضى عنه : أنه قال خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث فى ست عشرة سنة ، وما وضعت حديثاً إلا اغتسلت وصليت ركعتين اهـ كل هذا من عظيم احترامهم وإجلالهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحاديثه الشريفة -

اللهم أنعم علينا بعظيم المحبة والتوقير لرسولك الأعظم سيدنا « محمد » وجميع آله وصحبه بفضلك ورحمتك آمين .

وهذا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكى ولا مر على ربعه إلا غمض عينيه ، كما ذكره البيهقى فى الزهد بسند صحيح ، ولقد كان ابن عمر يتتبع آثاره صلى الله عليه وسلم

فى كل مسجد صلى فيه ، وكان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض ناقته فيه ، وكان لا يترك الحج فكان إذا وقف بعرفة يقف فى الموقف الذى وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أخرج مالك فى موطئه فى « باب ما جاء فى الدعاء » : أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما جاء لقرية لبنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار فقال هل تدرون أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجدكم هذا ، فقال له عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك نعم وأشار إلى ناحية منه . . . الحديث .

هذا ولقد جاء فى بعض أحاديث الاسراء : أنه صلى الله عليه وسلم لما أسرى به وهو راكب البراق وبصحبته جبريل الأمين عليه السلام ، سار حتى بلغوا أرضا ذات نخل ، فقال له جبريل انزل فصل هنا ، قال فصليت ، ثم ركب فقال جبريل اتدرى أين صليت قلت لا ، قال صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، فانطلق به البراق ، فقال له جبريل انزل فصل ، قال فصليت ، فقال أتدرى أين صليت قلت لا ، قال صليت بطور سيناء عند شجرة موسى حيث كلمه ربه ، ثم انطلق به البراق فقال له انزل فصل ، قال فصليت ، فقال أتدرى أين صليت قلت لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم (إلى آخر ما جاء فى الحديث) الذى ورد بروايات .

فيؤخذ من هنا أن كل موضع وأثر للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يصلى فيه ويتبرك به ويحترم ، خصوصا ما ينسب لنبينا الكريم سيدنا « محمد » صلى الله عليه وسلم الذى نحن من أمته ولله الحمد .

ومن هنا كان الصحابى الكريم ابن الصحابى الكريم سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مسجد وموضع كما تقدم الكلام عنه بالتفصيل .

ومازال هذا العمل جاريا منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى يومنا هذا ، ولكافة المسلمين فى جميع الأقطار ولع كبير فى التبرك بالآثار النبوية ، ولا شك أن هذا من علامات الحب العظيم الذى يحملونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم الله تعالى من قال :

أمر على الديار ديار سلمى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

اللهم صل على سيدنا « محمد » وعلى آله وأزواجه وذريته وصحابته كما صليت على سيدنا « إبراهيم » وعلى آل سيدنا « إبراهيم » فى العالمين إنك حميد مجيد .

وقد ورد أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فى بيوتهم ، فقد أخرج البخارى فى كتاب الصلاة حديث طلب عتبان بن مالك منه عليه الصلاة والسلام أن يصلى له فى مكان من بيته ليتخذه مصلى لما ضعف بصره وخاف من حيلولة السيل بينه وبين المسجد النبوى فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته وقال أين تحب أن أصلى لك فأشار إلى ناحية من بيته فصلى فيه فصفوا خلفه كما هو فى الصحيح مستوفى.

هذا وقد ظهر لك أيها المؤمن الكريم مما تقدم فى هذا الفصل ، أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الحب ويعظمونه حق التعظيم ويتبركون بآثاره صلى الله عليه وسلم من شرب فضلته من اللبن والماء والطعام والبول والدم والاحتفاظ بشعره وثيابه وجمع عرقه الشريف ووضعه فى قوارير خاصة والتمسح بقطرات ماء وضوئه وبنخامته صلى الله تعالى عليه وسلم - ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى كل ذلك منهم ويقرهم عليه ولا شك أن هذا منهم رضى الله عنهم ناشىء من عميق الحب وعظيم التعظيم له صلى الله عليه وسلم .

ولقد جاء فى الصحيحين واللفظ للبخارى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين .

وفى صحيح البخارى : أن عمر قال يارسول الله أنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى التى بين جنبى ، فقال صلى الله عليه وسلم : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذى أنزل الكتاب عليك لأنت أحب إلى من نفسى التى بين جنبى فقال له صلى الله عليه وسلم الآن ياعمر قد تم إيمانك اهـ .

نعم إن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم متغلغل فى نفوس أمته إلى قيام الساعة لا يشذ عن ذلك إلا كل شقى محروم من الإيمان الكامل ، فقد قال عليه الصلاة السلام أشد أمتى لى حباً قوم يكونون بعدى يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآنى ـ رواه الإمام أحمد .

وقال صلوات الله وسلامه عليه إن أناساً من أمتى يأتون بعدى يود أحدهم لو اشترى رؤيتى بأهله وماله — رواه الحاكم .

وهذا هو الواقع فى زماننا ونحن فى سنة (١٣٩٣) ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين من الهجرة وقد كان ذلك من قبلنا أيضاً ، فلقد نرى أن جميع الحجاج الذين يأتون إلى الحرمين الشريفين فى كل عام ، كم يتكلف الواحد منهم من المشقة والتعب العظيم وكم ينفق من المال حتى يصل إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه الكرام رضى الله تعالى عنهم ، فإذا وصل إلى مسجده الشريف وفاز بزيارته صلى الله عليه وسلم اطمأن قلبه واستراح ضميره وكأنه ملك الدنيا جميعها ، فعندئذ تجيش صدور المؤمنين المحبين من العلماء الفضلاء والأدباء البلغاء فينطقون بمختلف القصائد والمديح وبأروع الأقوال من الثناء الجميل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين .

وإذا تأملت أيها المؤمن السعيد الكامل فى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » الذى رواه الشيخان ، ظهرت لك معجزة أخرى فى هذه العبارة كما سنبينه لك .

ومعنى أن الإيمان ليأرز إلى المدينة أن لينضم ويلجأ إلى المدينة كما ينضم الحية إلى جحرها ومسكنها لتستقر فيه وتطمئن ، فالإيمان ينضم ويلجأ إلى المدينة المنورة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صاحبه فهو الذى عرف أمته بالإيمان والإسلام — وهذا من قبيل « واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها » أى واسأل أهل القرية وأهل العير — فيكون معنى الحديث : إن أهل الإيمان لينضمون ويلجأون إلى المدينة كما تلجأ الحية إلى جحرها ومسكنها ليأمنوا الفتن التى تقع فى بعض الأزمنة .

ويظهر انضمام أهل الإيمان المدينة بوضوح فى سفر الحجاج الكرام إلى المدينة لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم شوقهم ورغبتهم إلى هذه الزيارة المباركة فى كل عام إلى قيام الساعة ، فترى هذه الآلاف المؤلفة من الحجيج العظيم يتدفقون إلى المدينة المنورة ويحطون رحالهم فى أعتابها ، ثم بعد انقضاء زيارتهم الميمونة المباركة يرجعون إلى مكة المشرفة بلد الله الأمين لأداء مناسك الحج والوقوف بعرفات أو يذهبون من المدينة إلى بلادهم إذا كانت الزيارة بعد الحج — هذا ما فهمناه من الحديث الشريف والله تعالى أعلم .

هذا ومن المعجزات الباهرة : أن هذه الجموع العظيمة الآتية فى كل وقت وحين لزيارة هذا النبى المعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم لم يسمع عن أحد منهم أنه عبد قبره الشريف ، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبرى وثناً » رواه مالك وابن أبى شيبة والبزار .

وعن عطاء بن يسار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم

لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، رواه الإمام مالك فى الموطأ فى جامع الصلاة من الجزء الأول بصحيفة ١٤٣ طبعة الحلبى .

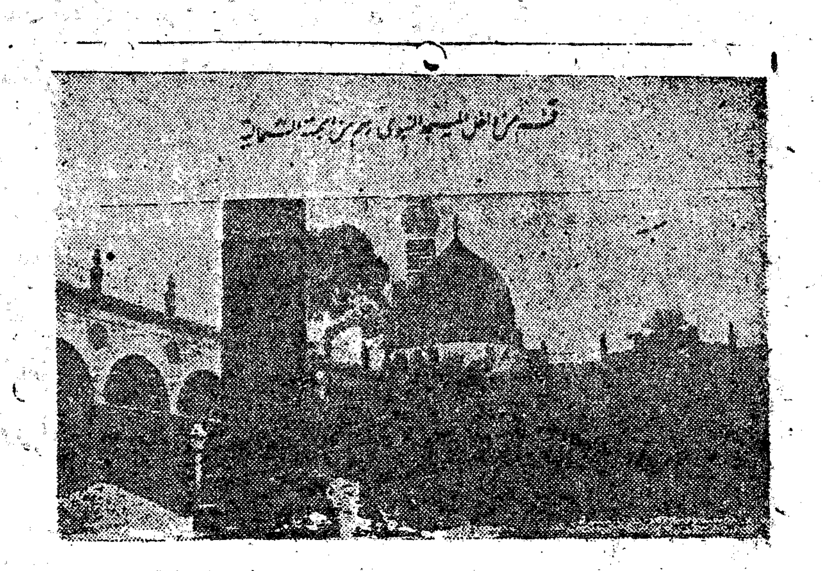
نعم لقد استجاب الله تعالى دعاء عبده ورسوله سيدنا « محمد » صلى الله عليه وسلم ، فلم يجعل قبره الشريف وثناً يعبد ، مع كثرة ازدحام الناس عليه فى كل وقت وحين ، وما قصدهم من الزيارة إلا التقرب إلى الله تعالى ورسوله ، إنهم من عظيم حبهم وشدة شوقهم يتهافتون على القبر الشريف تهافت الظماء على ورود الماء — نعم إنهم يزدحمون على الرحاب الطاهرة الشريفة لأن الرحاب النبوية فيها الفيوضات المعنوية . والأنوار الباهرة القوية ، وقد قيل « المورد العذب كثير الزحام » — وهذا مثل الحجر الأسود الذى فى ركن الكعبة المعظمة ، فإن الناس يزدحمون على تقبيله ازدحاما لا مثيل له فى مواسم الحج ، ولم يسمع قط أن أحداً عبد الحجر الأسود لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام . ولا شك أن ذلك من كرامة الله تعالى على الحجر الأسود وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم — وكذلك لم يسمع أن أحداً عبد حجر مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى هو عند الكعبة المشرفة من آلاف السنين — ولا أحد عبد نفس الكعبة المعظمة بيت الله الحرام لا فى الجاهلية ولا فى الإسلام — فسبحان الذى يجعل سره فيما شاء من خلقه — فما أحسن دين الإسلام ذلك الدين القيم .

اللهم صل على سيدنا « محمد » وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه كما صليت على سيدنا « إبراهيم » وعلى آل سيدنا « ابراهيم » فى العالمين إنك حميد مجيد ، وبارك على سيدنا « محمد » وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه كما باركت على سيدنا « إبراهيم » وعلى آل سيدنا « إبراهيم » فى العالمين إنك حميد مجيد .

اللهم صل وسلم على من حياته فوق حياة الناس ومماته فوق ممات الناس

ومقامه فوق مقام الناس صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

اللهم صل وسلم على من عرفنا بك وبدينك الحنيف وبشريعتك الغراء بإذنك وإرادتك ومشيئتك وأمرك صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك ، آمين يارب العالمين .



الفصل الثانى

فى صفة نعال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد تكلمنا فى كتابنا مقام إبراهيم السلام وفى كتابنا التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم عن قدمى أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ونتكلم هنا عن صفة نعل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من الآثار النبوية : روى الإمام أحمد فى كتاب الزهد : أنه صلى الله عليه وسلم كان يكره أن يطلع من نعليه شىء عن قدميه . قال المناوى : أى يكره أن يزيد النعل على قدر القدم أو ينقص اه نقول : ـ وهذا يدل على عظيم حسن الذوق ورقة الإحساس والمعرفة التامة وحسن الاختيار ، فهو صلى الله عليه وسلم أكمل الناس خلقا وخلقاً وديناً وعقلا وهو المقتدى به فى كل شىء فى الأعمال والأقوال وفى أمور الدين والدنيا .

وروى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال « كان صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتية ويصفر لحيته بالورس والزعفران » قال العزيزى فى شرحه على الجامع الصغير : السبتية بكسر السين المهملة نسبة إلى السبت وهو القطع أى المدبوغة التى حلق شعرها ـ اه .

وفى القسطلانى : النعال السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وكسر الفوقية وتشديد التحتية : المدبوغة بالقرظ أو التى سبت ما عليها من الشعر أى حلق وفى القاموس : السبت بالكسر كل جلد مدبوغ أو بالقرظ اه .

وروى الشيخان أيضا كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه . ورويا أيضا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن فى تنعله ترجله وطهوره وفى شأنه كله .

فعلم من كل ماتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال ولا يمشى حافيا ، فإنه لم يتعود الحفية ـ فقد جاء في تاريخ الخميس عند الكلام على خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر من مكة إلى غار ثور : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خلع نعليه فى طريق الغار وكان يمشى على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثرهما على الأرض حتى حفيت رجلاه فلما رآه أبو بكر وقد حفيت رجلاه حمله على كاهله وجعل يشتد حتى أتى الغار ـ كذا فى دلائل النبوة ، ومعنى حفيت رجلاه رقتا من كثرة المشى .

ثم قال بعده بأسطر : وروى عن أبي بكر أنه قال لعائشة لو رأيتنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم إذ صعدنا الغار ، فأما قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفطرتا ، وأما قدماى فعادتا كأنهما صفوان ، قالت عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفية ولا الرعية .

وروى عن أبي بكر أنه قال : نظرت إلى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد قطرتا دما فاستبكيت فعلمت أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفاء ولا الحفية ـ انتهى من تاريخ الخميس .

فلا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال ، ومن العادة الجارية لدى جميع الناس أن الإنسان يلزم له فى العام الواحد زوجان من النعال على الأقل ، فلو فرضنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس النعل بعد العاشرة إلى الممات فإن مدة لبسه النعل تكون ثلاثا وخمسين سنة ، وإذا قلنا إنه يستهلك كل عام زوجين من النعال ، فإنه يكون صلى الله عليه وسلم لبس فى هذه المدة (١٠٦) مائة وستة أزواج من النعال على وجه التقريب ، مع أن المعقول أن الصغير يلبس النعل فى الرابعة أو الخامسة من عمره ، وهذه العدة من النعال وإن كان قياسها وشكلها على نمط واحد ، إلا أنه لابد أن يكون هناك فرق يسير فى صنع بعضها وربما كان الصانع أكثر من رجل واحد .

أتينا بهذه النبذة لأجل أن القارىء الكريم إذا اطلع على وصف النعل الشريفة الذى ذكره العلماء الأجلاء ، ثم رأى رسوماً متعددة موثوقة المصادر لصورة نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بينها اختلاف جزئى يسير لاينفى إحداها، بل يحمل ذلك على أن هذه الرسوم كانت لبعض أنواع نعاله الشريفة المتعددة ، مالم تكن الرسوم مخالفة للوصف الذى ذكره العلماء .

وإليك ماذكروه فى وصف النعل الشريفة :

وصف النعل الشريفة

قال فى زاد المسلم فى الجزء السادس فى الطبعة الأولى عند شرحه لحديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه » ما ملخصه :

واعلم أنه قد ورد أن طول نعله صلى الله عليه وسلم شبر وأصبعان وعرضها مما يلى الكعبين سبع أصابع وبطن القدم خمس وفوقها ست ورأسها محدد وعرض ما بين القبالين أصبعان .

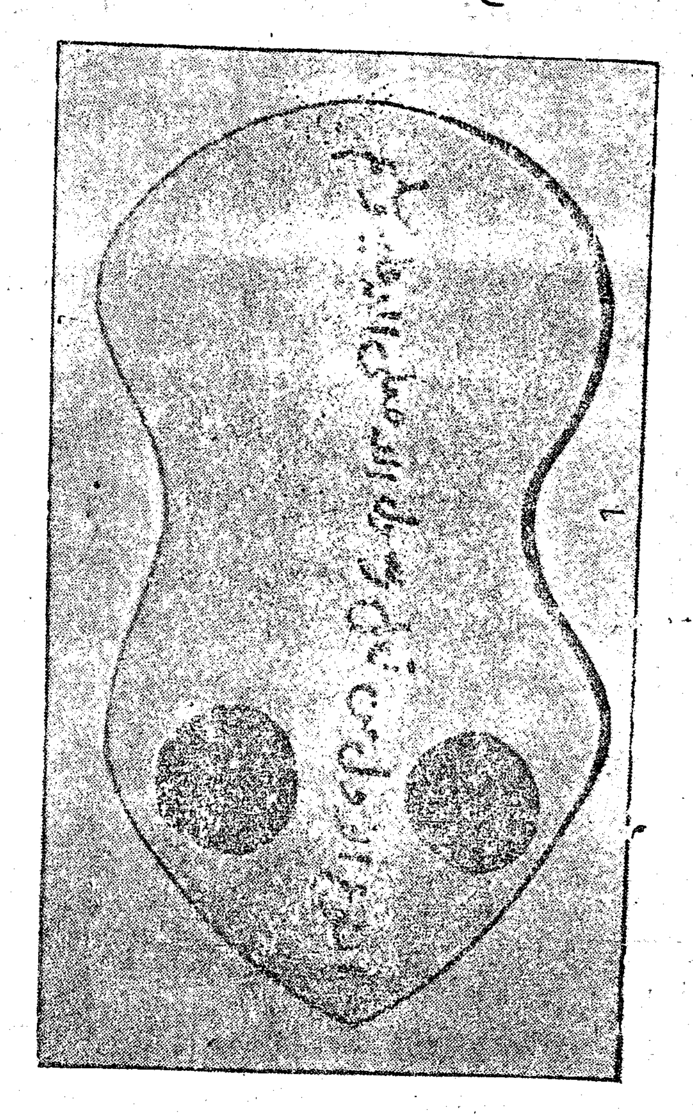
قال الحافظ الكبير زين الدين العراقى فى ألفية السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

ونعله الكريمة المصونه
طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالان بسير وهما
سبتيتان سبتوا شعرهما
وطولها شبر وأصبعان
وعرضها مما يلى الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم
خمس وفوق ذا فست فاعلم

وراسها محـــدد وعرض ما
بين القبـــالين أصبعان اضبطها
وهذه مثال تلك النعـــل
ودورها أكرم بها من نعل

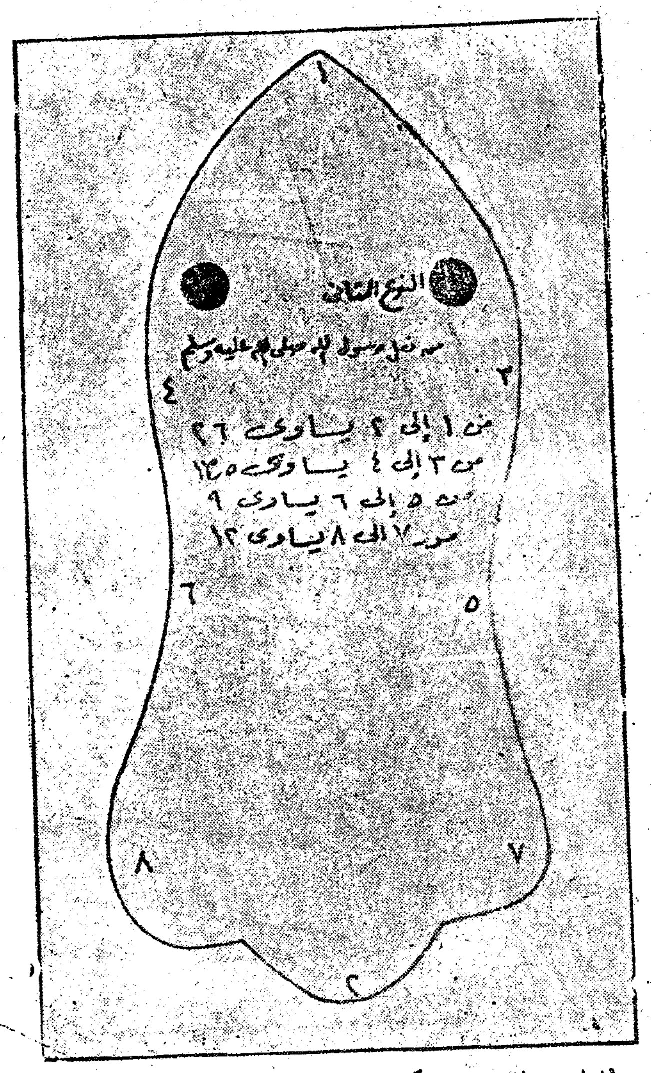
اللهم صل على سيدنا ونبينا « محمد » وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيراً ، والحمد لله رب العالمين . عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

صور أنواع من نعاله صلى الله عليه وسلم
وبعضها منقول من زاد المسلم
(١) مثال مصغر
النوع الأول لمثال النعل الشريفه



(٢) مثال مصغر

النوع الثاني لمثال النعل الشريفة



(٣) وإليك مثالا مصغراً من نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلا عن كتاب شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم بصحيفة (٥٥٤) لشيخنا العلامة المحدث الشهير الشيخ محمد حبيب الشنقيطي رحمه الله تعالى المتوفى بالقاهرة في شهر صفر سنه (١٣٦٣) ألف وثلاثمائة وثلاث وستين هجرية فقد كان مدرسا بالأزهر الشريف ومن قبله كان مدرساً بالمسجد الحرام بمكة المشرفة .

وهذه صورة لمثال النعل الشريفة — وفيها أبيات أنشأها صاحب زاد المسلم

هذا مثل للنعل الشريفة بداخله قطعة تطفلت بها على موائد رحمة الله تعالى

بخدمة مثـــل نعل رسوله عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام



النوع الثالث

وللإمام أبي العباس أحمد المقرى صاحب « نفح الطيب وإضاءة الدجنة وغيرها » تأليف نفيس فى شأن النعل الشريفة وهو مطبوع بحيدر اباد بالهند انتهى من شرح زاد المسلم .

« أقول » : الظاهر مما ورد فى صحيح مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » أن نعله صلى الله عليه وسلم كان معروفا عند الصحابة رضى الله تعالى عنهم لذلك جعله عليه الصلاة والسلام علامة لأبى هريرة بأنه رسوله إلى الصحابة ليصدقوه بدون تردد .

وهذا تفصيل ماجاء فى صحيح مسلم نقلا عن كتاب « مبارق الأزهار فى مشارق الأنوار » روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم قاعداً بين نفر من أصحابه فقام فذهب من عندهم فأبطأ ففزعوا عليه فكنت أول من خرج يطلبه فوجدته فى حائط « بستان » لبعض الأنصار فلما دخلت عليه أعطانى نعليه فقال عليه الصلاة والسلام « يا أبا هريرة أذهب بنعلى هاتين » قيل كان أبو هريرة يستصحب نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه عليه الصلاة والسلام نعليه ليكون علامة أنه لقى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون أوقع فى نفوسهم وإن كان خبره مقبولا بغير هذا « فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة » .

« فإن قلت » أبو هريرة لم يكن مطلعا على استيقان قلوبهم فكيف كانت بشارته مشروطة بالشهادة اليقينية « قلت » معناه أخبرهم بأن من كان صفته كذا فهو من أهل الجنة وإنما لم يذكر إحدى الشهادتين اكتفاء بالأخرى : « تتمة الحديث » قال أبو هريرة فلما خرجت من عنده عليه الصلاة والسلام فإذا

أول من لقيني عمر فذكرت له الحديث فضرب عمر بين ثديي حتى خررت على استي فقال ارجع فرجعت فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجرى لجاء عمر على أثري فقال عليه الصلاة والسلام (ياعمر ماحملك على مافعلت) قال يارسول الله بأبي أنت وأمي إني خشيت أن يتكل الناس عليها فقلت خلهم يعملون فقال عليه السلام (فخلهم) . انتهى من مبارق الأزهار .

* * *

وكما لبس النبي صلى الله عليه وسلم النعل لبس الخف ، ففي تاريخ الخميس: ولبس عليه الصلاة والسلام خفين ومسح عليهما ، وللترمذي خفين أسودين ساذجين أهداهما إليه النجاشي ملك الحبشة ، وفي رواية وكان ربما لبسهما النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما ، وكان يلبس النعال التي فيها شعر . ولبس صلى الله عليه وسلم نعلين جرداوين وكان لنعله قبالان ، وللترمذي مخصوفين وصلى فيهما ، وله : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما وفي رواية وكان له نعلان من السبت وكانت مخصرة ذات قبالين وكانت صفراء . انتهى من الكتاب المذكور .

وجاء في الشمائل المحمدية : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود حدثنا همام عن قتادة قال قلت لأنس بن مالك كيف كانت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما قبالان - حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما .

قال في المواهب اللدنية : أي لكل من الفردتين قبالان بدليل رواية البخاري . والقبالان تثنية قبال وهو بكسر القاف وبالموحدة بوزن كتاب زمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها ، ويسمى شسعاً بكسر الشين المعجمة وسكون

السين المهملة بوزن حمل كما فى القاموس ، وكان صلى الله عليه وسلم يضع أحد القبالين بين الإبهام والتى تليها والآخر بين الوسطى والتى تليها ، وقوله مثنى شراكهما ـ بضم الميم وفتح المثلثة وتشديد النون المفتوحة. أو بفتح الميم وسكون المثلثة وكسر النون وتشديد الياء والشراك ككتاب سير النعل أى كان شراك نعله مجعولا اثنين من السيور ـ اه .

حامل نعل الرسول صلى الله عليه وسلم

والذى كان يحمل نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبدالله بن مسعود الهذلى رضى الله عنه أحد السابقين الأولين وقد شهد بدرا والمشاهد كلها . فكان إذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه نعليه وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم .

وكان يعرف فى الصحابة بصاحب السواد والسواك وزاد بعضهم والفراش والوساد . ومعنى السواد بكسر السين السرار ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له «أذنك على أن يرفع الحجاب وان تسمع سوادى حتى أنهاك» رواه مسلم فى صحيحه ـ فكان رضى الله عنه يلج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسه نعليه ويمشى أمامه ومعه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام .

وإلى هذا أشار صاحب نظم عمود النسب بقوله :

ومن هذيل صاحب السواد والنعل والفراش والوساد

وهو ابن مسعود مبشر النبى برأس عمرو بن هشام الغبى

وجاء فى كتاب «التراتيب الإدارية» بصحيفة ٣٤ من الجزء الأول مانصه : «ذكر صاحب النعلين» : فى مختصر السير لابن جماعة ونحوه فى المواهب وغيرها كان عبد الله بن مسعود صاحب نعلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم (وقلت) خرج ذلك الحرث وابن أبى عمر من مرسل القاسم ابن عبد الرحمن وزاد فاذا قام ألبسه نعليه فى رجليه ومشى حتى يدخل الحجرة قبله ، قال الزرقانى على المواهب على قوله جعلهما فى ذراعيه وكان حكمة ذلك تخلية يديه لخدمة المصطفى إن احتاج ويشغلهما بالطاعة إذا أرادها بهما اهـ. وأصله لشيخه الشبراملسى .

وفى فتح المتعال للامام أبى العباس المقرى ثبت أن عبدالله بن مسعود كان صاحب النعلين والسواك والوساد والطهور كما فى الصحيح وكان يلى ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه إذا قام ويجعلهما فى ذراعيه إذا جلس حتى يقوم النبى صلى الله عليه وسلم .

وروى محمد بن يحيى عن القاسم قال كان عبد الله بن مسعود يقوم إذا جلس النبى صلى الله عليه وسلم ينزع نعليه من رجليه ويدخلهما فى ذراعيه فإذا قام ألبسه إياهما فيمشى بالعصى أمامه حتى يدخل الحجرة، وقد ذكر جماعة منهم ابن سعد أن أنس بن مالك كان صاحب نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإداوته .

قال الحافظ ابن حجر عندما تكلم على حديث ، أليس فيكم صاحب النعلين ما نصه : والمراد بصاحب النعلين وماذكر معهما عبد الله بن مسعود لأنه كان يتولى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فصاحب النعلين فى الحقيقة هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل لابن مسعود صاحب النعلين مجازا لكونه كان يحملهما اهـ.

وقال البيضاوى كما فى قوت المغتذى على جامع الترمذى أى كان يخدم المصطفى ويلازمه فى حالاته كلها فيحمل مطهرته فى قيامه لوضوئه ويأخذ نعليه فيضعهما فى ذراعيه صونا لهما وقت اللبس - اهـ . انتهى من كتاب التراتيب الإدارية

* * *

ومما يناسب هذا المقام ماذكره ابن كثير فى تاريخه من مناقب أمير المؤمنين محمد المهدى حيث يقول : إنه دخل عليه رجل يوما ومعه نعل فقال هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك - فقال هاتها فناوله إياها ، فقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم. فلما انصرف الرجل قال المهدى والله إنى لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير هذه النعل فضلا عن أن يلبسها ، ولكنى لو رددته لذهب يقول للناس أهديت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على ، فتصدقه الناس - لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى ، وإن كان ظالما فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ورأيناها أرجح وأصلح - انتهى .

فانظر رحمك الله إلى غزارة عقل أمير المؤمنين رحمه الله تعالى وإلى لطيف سياسته ونظره البعيد وقوله الحكيم ، فسبحان مقسم العقول والأرزاق فما أحسن العقل والرئاسة وماأحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا .

اللهم اجعل لنا نصيباً كاملا فى الدين والدنيا من العلم والعقل والصلاح والتقوى والغنى والتوفيق ، ومن رضانك وعفوك وغفرانك وحلمك وسترك ورحمتك وكرمك وإحسانك بفضلك ورحمتك ياأرحم الراحمين آمين ، وصلى الله على النبي الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

وجاء فى كتاب « التراتيب الإدارية » بصحيفة ٣٦ من الجزء الأول مانصه : وقد أفرد مايتعلق بالنعال النبوية بالتاليف جماعة من الأعلام ، كأبى اليمن بن عساكر ، والسراج البلقينى ، والبستى والشمس محمد بن عيسى المقرى صاحب كتاب قرة العينين فى تحقيق أمر النعلين وغيرهم .

وأشهرهم الإمام أبو العباس المقرى التلمسانى دفين مصر له « النفحات العنبرية فى وصف نعل خير البرية » و « فتح المتعال فى مدح خير النعال » والأخير فى مجلد ألفه بعد النفحات عند رجلى المصطفى عليه السلام بالمسجد النبوى ، كما أن كتابه فى العمامة النبوية ألفه عند رأسه عليه السلام بالمسجد النبوى ، ولفتح المتعال مختصرات منها مختصر رضى الدين أبى الخير عبد المجيد القادرى الهندى وهو مطبوع بالهند . ومنها مختصر أبى الحسن على بن سليمان الدمنتى دفين مراكش ، ومنها مختصر أبى المحاسن يوسف النبهانى ، والثلاثة عندى بل ذكر المختصر الأول أنه بلغ عدد المصنفات فى النعال النبوية إلى نيف وخمسين مصنفا .

وفى الرحلة العياشية أن صاحبها وقف فى مكة على نحو النصف من كتاب اللآلى المجموعة من باهر النظام وبارع الكلام فى صفة مثال نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما انتدب لجمعه عبد الله بن محمد بن هارون الطائى القرطبى قال وسبب جمعه على ماقال أنه سئل منه نظم أبيات تكتب على النعل النبوية فكتب فى ذلك قطعة وندب أدباء قطره الأندلسى لذلك فأجابوا ، وجملة مافيه من المقطعات مايذيف على مائة وثلاثين بين صغيرة وكبيرة ، قال الشيخ أبو سالم ولم يطلع على هذا التأليف الحافظ المقرى مع سعة حفظه وكثرة اطلاعه ومبالغته فى التنقيب والتفتيش عما قيل فى النعل ، ولم يطلع لمن قبل عصره إلا على عدد أقل من هذا بكثير ، وغالب ما أودعه فى كتابه فتح المتعال فى مدح خير النعال كلامه وكلام أهل عصره ولو اطلع على هذا الكتاب لاغتبط به كثيرا اه .

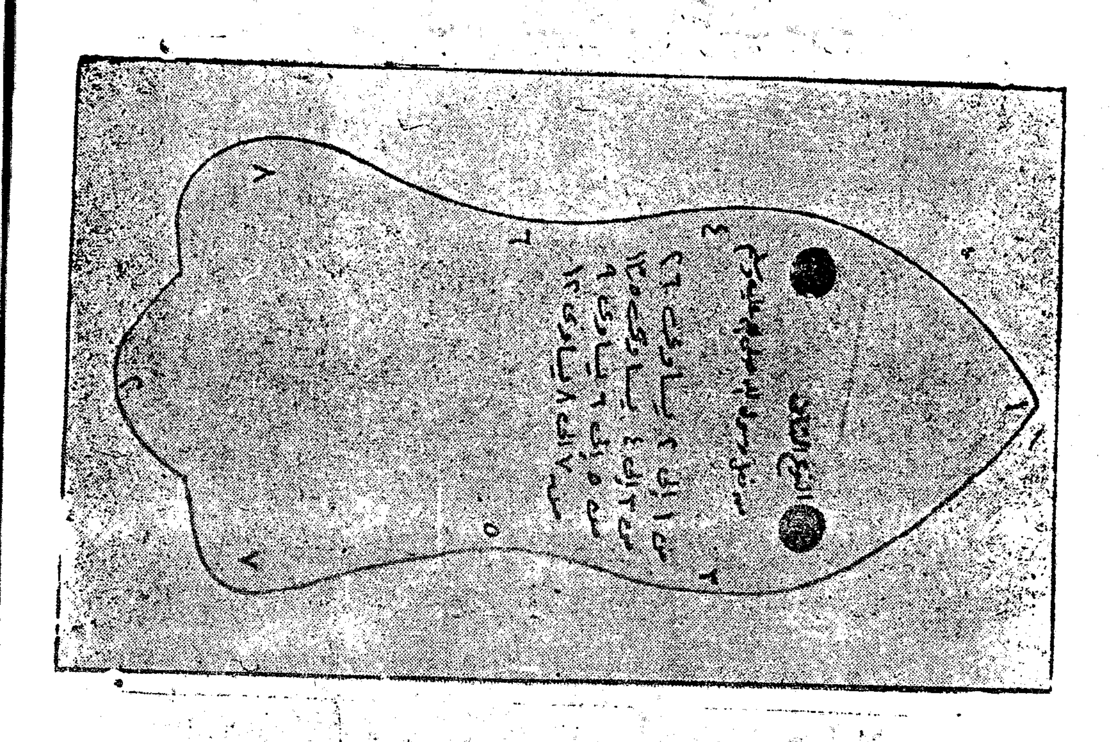
انتهى من كتاب التراتيب الإدارية ، وقد قال كثير من الشعراء قصائد لطيفة فى مثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم لم نذكرها خوف الطول .

* * *

تاريخ بعض النعال الشريفة وما كتب حولها

يقول مؤلف هذه الرسالة: إن فردة من نعل النبي صلى الله عليه وسلم توجد اليوم بعدوة فاس الأندلس، ولقد رآها الفاضل السيد عبد العزيز ابن أبي القاسم بن مسعود الدباغ الإمام والخطيب بمسجد الباشا بجدة اليوم، فقد أخبرنا حفظه الله حين الاجتماع به بجدة في العشرين من شعبان سنة ست وسبعين وثلاثمائة وألف في منزل الأخوين العزيزين السيد سعيد بن السيد صالح الدباغ وأخيه السيد عبد الرحمن الدباغ وكان معنا صديقنا الفاضل السيد محمد الهادي عقيل ـ أنه لما كان موجوداً بمدينة فاس بالمغرب الأقصى في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف رأى فردة واحدة من نفس نعل النبي صلى الله عليه وسلم محفوظة بين لوحين من الزجاج السميك في منزل أحد فضلاء فاس.

أما الفردة الأخرى من النعل الشريفة فقد أخذها منهم بعض السلاطين، وقد طلب السيد عبد العزيز الدباغ المذكور من صاحب المنزل أن يأذن له بأخذ قياس النعل الشريفة على ورق سميك، وبكتابة ما حولها فأذن له بذلك. وإليك صورة تلك الفردة من نفس نعل النبي صلى الله عليه وسلم.



وقد رأينا مثال هذه النعل الشريفة الذى بعدوة فاس الأندلس فى الرسالة المطبوعة بتركيا المسماة « بالشجرة المحمدية » .

وإليك أيضاً نص ما كتب حول هذه النعل الموجودة اليوم بمدينة فاس بالمغرب الأقصى .

الحمد لله ، من خط من قال ما صورته الحمد لله كان شهيداه الواضعان اسميهما عقب تاريخه بأعوام سالفة عاينا هذه الفردة « المكتوب هذا على ظهر الورقة الملتصقة بها » من النعل الشريفة النبوية بدار السادات الطاهرين الصقليين برأس درب الدرج من حرمة مصمودة عدوة فاس الأندلس ثم إنهما جددا النظر فيها يوم تاريخه بدارهم بدرب السعود فوجداها بعينها لا تبديل فيها ولا تغيير فمن عاينها أولا وثانيا قيد بها شهادته فى السادس عشر من ذى الحجة الحرام مكمل خمسة وثلاثين ومائة وألف بشكلها وبه صدربه محمد بن أحمد

تاب الله عليه ، ومحمد بن أحمد المسناوى كان الله له . وإدريس بن محمد العراقى الحسينى كان الله له وأسفله ما نصه :

الحمد لله من فضل الله على عبده التاودى بن سودة غفر الله له أنه رأى هذه النعل الكريمة ومسح بها جبينه وتبرك بها صلى الله على صاحبها وسلم تسليما ، وبعده أيضاً - الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وكذلك قد امتن الله تعالى على العبد الحقير محمد بن أحمد الصقلى الحسينى بالتمسح بالنعل الشريفة والحمد لله على ذلك والسلام ، ومستهل ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف رزقنا الله خيره ، وبعد ما نصه : الحمد لله حق حمده وصلى الله على مولانا محمد أشرف خلقه ما ذكره سيدنا الشريف أعلاه يليه كان بمحضر كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بتنيس وتبركنا بالنعل الشريفة فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة ، وفى التاريخ أعلاه وكتبه بقلمه متبركا عبد ربه أحمد بن المهدى بن محمد بن العباس البوعزاوى فتح الله بصيرته ، وقد تمسح بالنعل الشريفة وتبرك بها بدار الشريف سيدى عبد السلام الطاهرى - الحمد لله فى ١٤ ربيع النبوى عام ١٣٣٤ أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف محمد بن رشيد العراقى الحسينى كان الله له آمين ، وخادم السنة وأهلها محمد عبد الحى بن عبد الكبير الكتانى الحسنى الإدريسى تاب عليه مولاه فى التاريخ أعلاه وعبد ربه إدريس مكوار لطف الله به ومحمد بن علال بن عبد السلام الوزانى الحسنى قابله بفضله والمسلمين والمسلمات فى التاريخ أعلاه ، وابنه محمد بن محمد بن علال الحسنى الوزانى قابله الله بفضله والمسلمين والمسلمات فى التاريخ أعلاه حقق الله رجاءه آمين . ومحمد بن محمد رشيد العراقى وعبد ربه عبد السلام بن محمد الطيب الشرفى أدام الله له ولمتعلقاته فى الدارين والمسلمين لطفه الخفى وبره الحفى ، وعلى بن الطيب الشرفى لطف الله به ، ومحمد ابن عبد السلام الطاهرى كان الله له ، وقد من الله على كاتبه بخطه فى هذا المثال العبد المذنب الراجى عفو ربه ورحمته زيارة هذه النعل الشريفة المقدسة

والتمسح بها والتبرك بها فى عشرة من شهر ربيع الثانى سنة ١٣٥٧ سبع وخمسين وثلاثمائة وألف .

ونقل هذه الأسطر بخطه على هذا المثال المقيس على نفس نعله صلى الله عليه وسلم المذكور أعلاه مباشرة من دون حائل حاز ذلك من المفضل به خادم النعل الشريفة الذى هو عنده هذه النعل المطهرة سيدى محمد بن سيدى عبد السلام الطاهرى الصقلى الحسينى والحائز لذلك وكاتبه بفضل ربه عبد العزيز ابن محمد أبو القاسم بن مسعود الدباغ الحسنى الإدريسى طهر الله قلبه وغفر ذنبه وجمعه بنبيه صلى الله عليه وسلم . اهـ .

ثم إن هذا المثال قيس على نفس المثال المقيس على نفس نعله صلى الله عليه وسلم . مباشرة من دون حائل ونقل عليه ما هو مكتوب عليه حرفيا كما نقل من الأصل حسب ما هو مذكور أعلاه وذلك فى ٤ من شهر صفر الخير عام ١٣٥٨ ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف نقله وقاسه بخطه و بيده العبد الحقير الراجى عفو ربه عبد العزيز بن محمد أبو القاسم الدباغ الحسنى غفر الله له ولوالديه وأسلافه والمؤمنين والمؤمنات ولمن دعا له بذلك آمين والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
قال الشيخ محمد التاودى بن سودة رحمه الله فى حواشيه على صحيح الإمام البخارى فى باب الشرب من قدح النبى صلى الله عليه وسلم صحيفة (٧٣) ما نصه: وقد من الله على مع حقارتى وضعف تعلق بالسنة والحديث بأنى رأيت فردة من نعل النبى صلى الله عليه وسلم ومسحت بها وجهى وعينى وذلك فى العشرة الأخيرة من المائة الثانية عشرة وهذه النعل بدار الأشراف الطاهرين بعدوة الأندلس قرب وادى مصمودة هنالك معروف جدهم بصاحب النعال .

وكان السلطان مولانا إسماعيل جبرهم على أخذها فاعطوه واحدة وكتموا الأخرى فمن ثم لا يطلعون عليها أحدا وهى عندهم فى ربيعة فى صندوق فى مكان

معظم محترم رأيت عليه أى حوله خط واحد من العلماء ممن أدركته لا غير وكتبت حوله ولله الحمد وله المنة . انتهى منه بلفظه ولعل المعنى بقوله خط واحد من العلماء ممن أدركته هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى العلامة الشهير اهـ ومعنى الربيعة الصندوق الصغير .

ذكر لى سيدى محمد بن عبد السلام الذى عنده النعل الآن أن فردة النعل هذه الموجودة عنده كانت فى صندوق وذلك الصندوق فى صندوقين واحد فى بطن الآخر فالذى فيه النعل الداخلى هو الصندوق الثالث وقد تلاشى الصندوق الأول الكبير البرانى لعدم إخراجه مدة من الزمن طويلة والفأرة قد دخلت من الصندوق الأول إلى الثانى ومن الثانى إلى الثالث وخرقت الثلاثة الصناديق والنعل لم تمسها بشىء أصلا ولا شك أن هذه من معجزاته صلى الله عليه وسلم اهـ .

* * *

نقول هذا ما وقفنا عليه من وجود شعرات النبى صلى الله عليه وسلم ونعله الشريفة ولا نعلم هل يوجد شىء من الآثار النبــوية اليوم فى بعض البلدان الإسلامية أم لا ، ونظن أنه لا تخلو منها متاحف سلاطين آل عثمان بالآستانة والله تعالى أعلم .

قال صاحب رسالة « الشجرة المحمدية » المطبوعة بالآستانة إن العلامة الشيخ الجزرى رحمه الله تعالى قد بين وأوضح صفات نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الصحيحة .

نقول : بمناسبة ذكرنا لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر أن الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى رضى الله تعالى عنه كان طويلا جداً حتى إن نعله كانت ذراعاً واحداً ، ولقد قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : جرير يوسف هذه الأمة . انتهى .

وقبل أن نختم هذا المبحث نذكر « فيما يتعلق بالمنبر النبوى » أن هارون

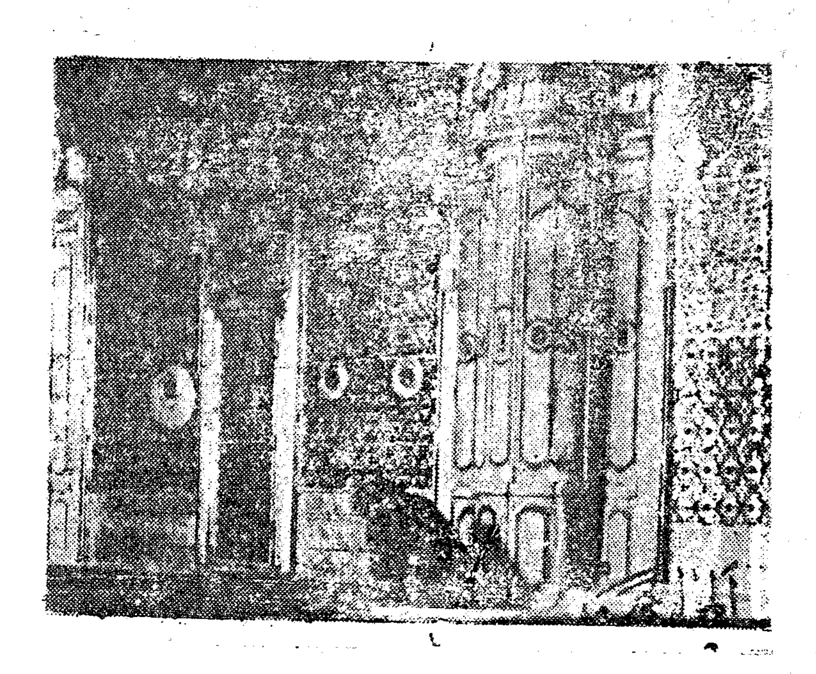
الرشيد أراد أن يجعله من الجوهر والذهب والفضة ، فمنعه الإمام مالك رحمه الله تعالى ، فقد روى أبو نعيم فى حليته فى ترجمة الإمام مالك :

أن هارون الرشيد استشار مالكا فى أن ينقض منبر النبى صلى الله عليه وسلم ويجعله من جوهر وذهب وفضة ، فقال له مالك لا أرى أن تحرم الناس أثر النبى صلى الله عليه وسلم ـ اهـ .

* * *

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وصحابته الطيبين الطاهرين ، واجزه عنا أفضل ماجزيت نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ، واختم لنا بخير ياأرحم الراحمين ، وارزقنا العفو والعافية ، والنعم الكثيرة الوافية ، واجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



الفصل الثالث

فى شدة محافظة السلف على الآثار النبوية

مما لا شك فيه أن للذكريات مفعولا وتأثيراً فيمن له إحساس دقيق وعاطفة رقيقة وشعور فياض . فالذكريات تذكر الإنسان بالأحوال التى وقعت له مع صاحبها وإلى هذا يشير القائل . والذكريات صدى السنين الخالى » .

والذكريات هى الآثار الباقية من صاحبها . وعلى قدر مكانة صاحبها ومحبته يكون مفعولها وتأثيرها لدى المحتفظ بها ومن يتصل به .

والكلام على الآثار يتشعب إلى شعبتين :

الأولى : « الآثار بالمعنى المتعارف عليه فى زماننا ، وهى الآثار المخلفة عن الأمم والأقوام فى العصور الغابرة التى يعرف منها تاريخ حياتهم وحضاراتهم كآثار فراعنة مصر وآثار الفينيقيين والكلدانيين وغيرهم وإلى هذا يشير الشاعر بقوله :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهذه ليست بالمقصودة هنا . فقد أشبعنا الكلام عليها فى كتابنا « تاريخ الخط العربى وآدابه » المطبوع بمصر بمكتبة الهلال بالفجالة .

الثانية : ــ وهى المقصودة هنا ــ الآثار النبوية الشريفة ، وهى مخلفات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فللآثار النبوية ذكريات وأى ذكريات ، وتأثيرات ، وأى تأثيرات وهل أدل على تأثير الذكريات من أذان بلال رضى الله تعالى عنه بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حينما رجع من الشام إلى المدينة وطلب منه الصحابة أن يؤذن لهم كما كان يؤذن فى عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، واجتمع رجالهم ونساؤهم وصغارهم وكبارهم فلما أذن بلال وقال أشهد أن محمداً رسول الله ، لم يبق في المدينة أحد إلا بكى وصاح وخرجت العذارى والأبكار من خدورهن يبكين وصار ذلك اليوم كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ من أذانه (وقد تقدمت الإشارة إليه) .

نعم والله إنه ليحق لهم ذلك وأكثر من ذلك — فقد فارقوا من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، ولما يندمل جرح فراقهم بعد ، بل نحن اليوم إذا قرأنا قصة موته صلى الله عليه وسلم نبكى وننتحب وبيننا وبين موته عليه الصلاة والسلام أربعة عشر قرنا ولم نتشرف برؤية وجهه الشريف ولم نسعد بخدمة نعله الطاهرة ، فكيف حال من تشرف بمخالطته وسعد بخدمته ، إن أقل ذكرى له تهيجهم وتبعث كوامن أشجانهم ، صلى الله عليه وعلى آله وذريته وصحابته أجمعين .

ومن آثر الذكريات العادية ، ما جاء فى الجزء الرابع من زاد المسلم : أنه كانت لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما جارية يحبها فاشتد عجبه بها فاعتقها ، وقال سمعت الله تعالى يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ثم زوجها مولى له فأنت منه بولد ، فكان ابن عمر يأخذ الصبى فيقبله ثم يقول واها لريح فلانة . اهـ ملخصاً .

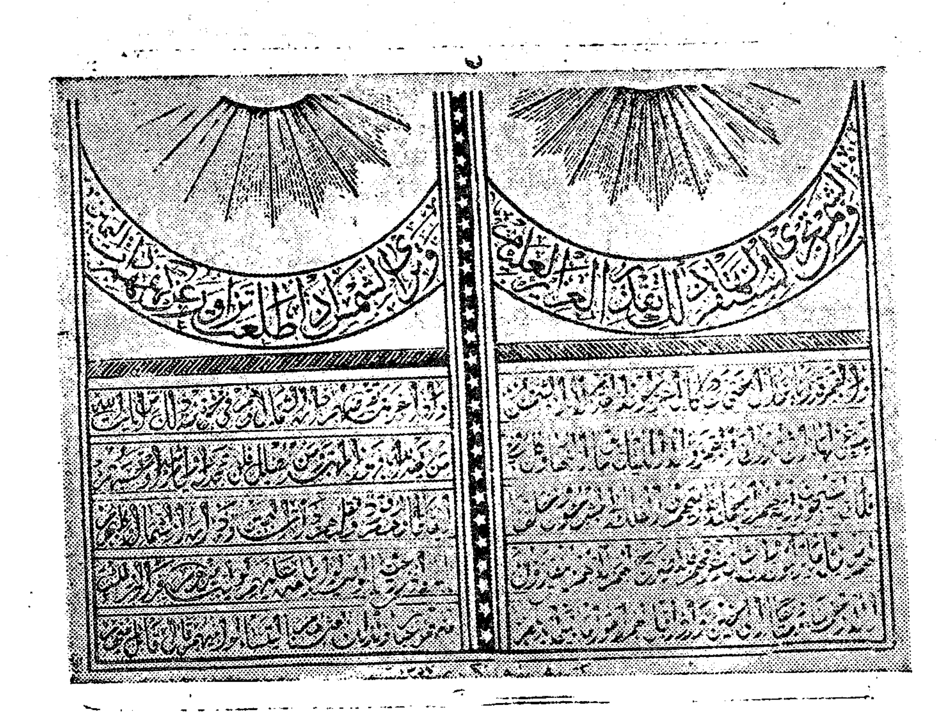
ولقد كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى ، ففى زاد المسلم فى أواخر الجزء الرابع عند حديث « نعم الرجل عبد الله . الخ » مانصه : وفى الزهد للبيهقى بسند صحيح عن عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر سمعت أبى : يقول ما ذكر ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بكى ولا مر على ربعه إلا غمض عينيه . اهـ . أى حتى لا يبصر طويلا ربعه ومحل نزوله وإقامته صلى الله عليه وسلم فيزداد بكاؤه ونحيبه لفراقه وخروجه من الدنيا صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وهذا من عظيم المحبة .

وفيه أيضا كان ابن عمر يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مسجد صلى فيه ، وكان يعترض براحلته فى طريق رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض ناقته فيه .

وهذا كما قال الشاعر :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما أو فانزلا حيث حلت

فما من أحد من المسلمين اليوم فى مشارق الأرض أومغاربها إذا سعد برؤية شيء من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قابله بالفرح والبشر، والاحترام والتعظيم ، وإن كل واحد منا ليحتفظ بآثار من يحبه من والديه وإخوته وأصدقائه ، وكثير منا من يطلب من صديقه أن يهديه شيئاً يكون تذكاراً لديه منه لايفرط فيه أبدا ، وهذا فى الآثار التذكارية العادية ، فكيف بالآثار النبوية الشريفة المباركة .



تلخيص ماتقدم

ولقد تقدم تفصيل اهتمام الصحابة رضى الله عنهم بالتبرك بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحرص الشديد عليها ، وهنا نلخص ماتقدم زيادة فى تنوير القلوب وتنبيه الأذهان ، فنقول وبالله التوفيق :

١ — احتفظت السيدة أم سلمة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم . بشعرات حمر من شعره عليه الصلاة والسلام فى مثل الجلجل للتبرك بها ، وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها ويستشفون من بركتها ، فتارة يحملونها فى قدح من الماء فيشربون ماءه ، وتارة فى إجانة ملآى من الماء فيجلسون فى الماء الذى فيه الجلجل الذى فيه تلك الشعرات الشريفة .

* * *

٢ — واحتفظ بعض الصحابة وهو عبد الرحمن بن عوف وقيل سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنهما وهما من العشرة المبشرين بالجنة - ببردة النبى صلى الله عليه وسلم ليكفن فيها تبركا بها .

* * *

٣ — واحتفظ بعضهم بالقدح الذى شرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان بعضهم يخرجه لبعض ليشرب فيه تبركا به ، وقد تقدم قول الإمام البخارى رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه ، وأن عمر بن عبد العزيز استوهبه من سهل بن سعد فوهبه له .

* * *

٤ — واحتفظ سيدنا معاوية رضى الله عنه بالقميص الذى ألبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشىء من شعره وأظفاره صلى الله عليه وسلم للتبرك به ، حتى أوصى ابنه أن يدفن كل ذلك معه بعد موته .

٥ — واحتفظ سيف الله خالد بن الوليد وأبو زمعة رضى الله عنهما بشىء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتفظت أم سليم رضى الله عنهما بعرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلته فى قوارير للتبرك به .

٩ - واحتفظ كعب بن زهير رضى الله عنه بالبردة التى ألقاها عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أنشده قصيدته « بانت سعاد » المشهورة ووصل إلى قوله فيها :

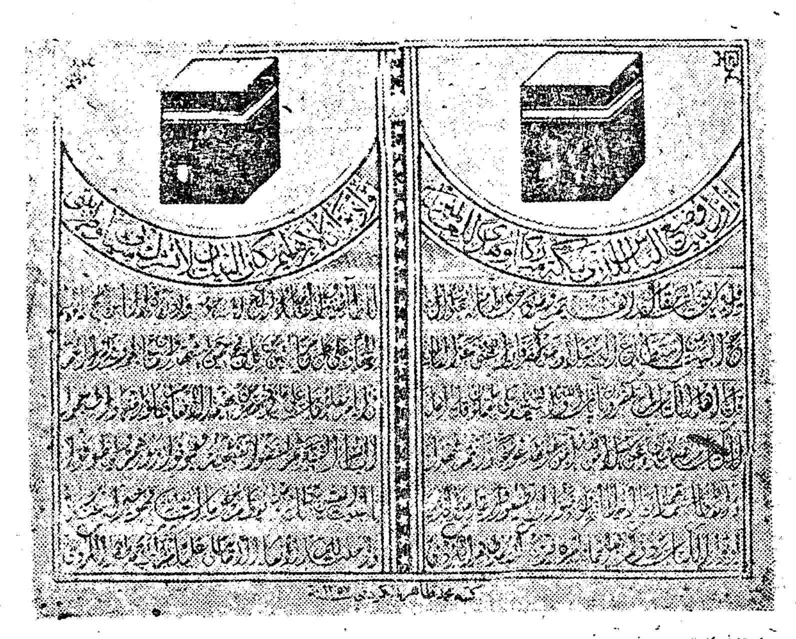
إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول

وأن معاوية رضى الله عنه أراد شراءها منه بعشرة آلاف درهم فأبى كعب أن يبيعها له . وقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً .

ثم اشتراها بعده من ورثته بعشرين ألفا من الدراهم ، وهى البردة التى كان يلبسها الخلفاء فى الأعياد وكانت عند السلاطين ثم فقدت فى وقعة التتار وكان مبدأ ظهورهم حوالى سنة ستمائة من الهجرة .

* * *

٧ - وفى كتاب « التراتيب الإدارية » فى آخر الجزء الثانى أن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند آل أبى رهيمة المخزوميين من قبل أم كلثوم أمهم .



الفصل الرابع

في ذكر بعض البلدان الإسلامية التي فيها شيء من الآثار النبوية

١ – ذكر الأستاذ البتانوني في كتابه الرحلة الحجازية أنه يوجد بعض شعراته صلى الله عليه وسلم بالمسجد الأقصى بالخزانة الفضية التي بجوار الدرابزين من الجهة الغربية للصخرة .

٢ – ويوجد بعض الآثار في الآستانة مقر الخلفاء سلاطين آل عثمان سابقاً رحمهم الله تعالى كالشعرة المباركة والبردة الشريفة وبعض آثار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كما يوجد شيء من الآثار في القاهرة بمسجد سيدنا الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما .

٣ – وسمعنا أنه توجد في بلدة «بوسنه» بتركيا في جامع خسرو باك قطعة من قميص النبي صلى الله عليه وسلم وشعرة من شعراته الشريفة ويعرض ذلك في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان على الجمهور (وهي على الأرجح ليلة القدر) .

٤ – وتوجد أيضاً في طرابلس الغرب في جامع طورغود باشا في بيت الصلاة شعرة من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم موضوعة في زجاجة وتعرض على الجمهور في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، وفي اليوم السابع والعشرين من رجب ، وفي منتصف شعبان ، وفي اليوم السابع والعشرين من رمضان ، وهذه الشعرة المباركة أرسلت من الآستانة إلى طرابلس الغرب ، وطورغود باشا هو قائد بحري عثماني عظيم ممن كان لهم الفضل في أجلاء الأسبانيين من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ، وإعادتها إلى حظيرة الحكم الإسلامي وقد توفي طورغود باشا رحمه الله تعالى شهيداً في سنة ٩٧٣ هـ وهو يحاصر

جزيرة مالطه ، فنقل إلى مدينة طرابلس الغرب ، ودفن بها بجوار مسجده المعروف باسمه حتى اليوم .

٥ — وفى دمشق أيضا توجد شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتفل أهل دمشق بها احتفالا كبيرا ، ولقد كتبت مجلة «المصور» التى تصدر بمصر مقالا فى احد أعدادها تصف به احتفال دمشق بهذه الشعرة المباركة فقالت :-

احتفل مشائخ الطرق الصوفية هذا الأسبوع بالتبرك بالشعرة المباركة احتفالا كبيرا حضره عدد كبير من كبار رجال الدين .

والمعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم قص شعره مرتين وفى هاتين المرتين سارع الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحصول على بعض الشعرات الطوال عقب القص . (كذا قال) .

وكانوا يوصون أولادهم بدفن بعض الشعرات معهم والاحتفاظ بالبعض الآخر ، وكانت الشعرات المباركة تنتقل من جيل إلى جيل إلى عهد السلطان عبد الحميد المتوفى سنة (١٣٣٥) هجرية حيث كثر الزاعمون بأنهم يملكون شعرات مباركة واضطر السلطان إلى الحد من هذه الموجة . فدعا علماء المسلمين فى جميع الأقطار لمعالجة الأمر وكان من بين العلماء الشيخ أسعد الشقيرى ، والد السيد أحمد الشقيرى ، فاقترح أن يؤتى بالشعرات من الحائزين عليها ، وأن تفحص جيدا وكانت طريقة الفحص دقيقة ، واقعية .

يقول المؤرخون إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بلاظل ، فقد كان يتلقى الشمس والقمر فلا يتركان له ظلا على الأرض - وقال الشيخ الشقيرى : إن شعر الرسول لا ظل له أيضاً ، وأن الشعرة التى تعرض على النور فلا تترك ظلا تكون صحيحة النسب ، أما ذات الظل فإن أصحابها اصطنعوها اصطناعا وجرى الفحص ، وأعطى أصحاب الشعرات الصحيحة شهادات -

ـ فرمان بصحة نسبتها ، وكان من نصيب دمشق الشعرة التي أهديت للإمام سعد الدين الجباوى ، والشعرة المهداة لشيخ المولوية جلال الدين الرومى .

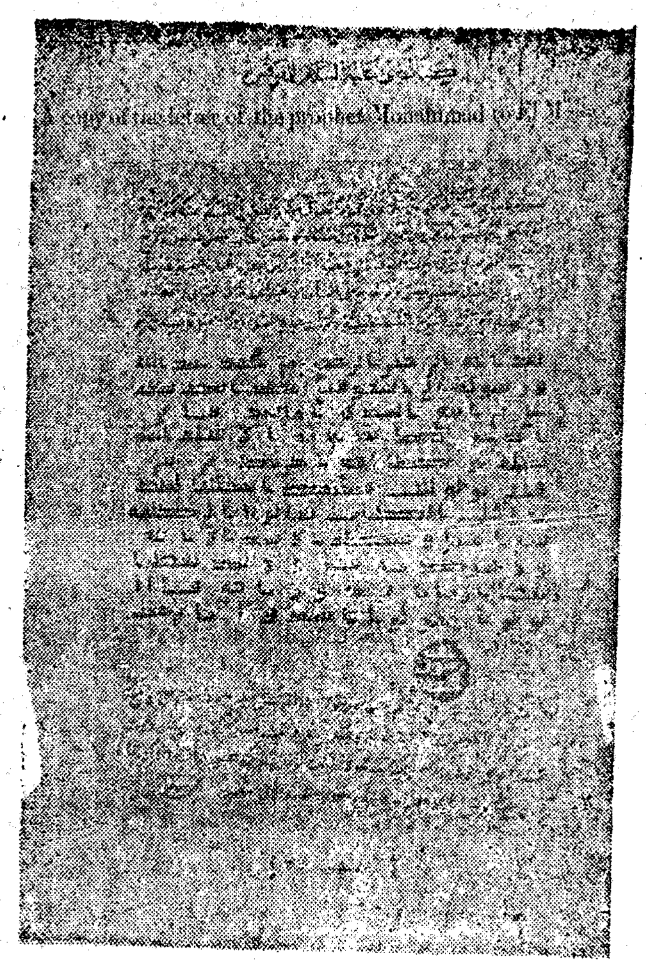
وفى أعياد المولد والإسراء، ونصف شعبان وليلة القدر والأعياد الأخرى يحتفل كل عام بالتبرك بالشعرة المباركة .

وفى هذا الأسبوع . احتفلت الزاوية السعدية بها احتفالا كبيرا بحضور رجال الدين وفى جو كله خشوع وجلال ووقار - وهى ملفوفة بالعنبر الجامد ، وموضوعة فى زجاجة فيها بعض المسك والبخور ، وقد غلفت الزجاجة بأقمشة مخملية مربعة كتبت عليها بعض آيات من القرآن الكريم وعندما فتحت الزجاجة أمسك بها أكبر أفراد العائلة التى تتشرف بحيازتها ، ولم يسلمها لأحد ، بل بقيت فى يده ليتبرك بها الناس ، وقد أخرجت فى جو دينى مهيب ، رددت فيه الأناشيد الدينية والصلوات الإبراهيمية وظل الترتيل مستمراً حتى أعيدت الشعرة إلى مكانها . وللتبرك بالشعرة يجب على الشخص المتبرك أن يأتيها من اليمين أدبا واحتراما ، وبعد أن يقبل القارورة ويدعو بما يشاء باختصار يذهب إلى اليسار مفسحا المجال لغيره وفى جو خاشع يسوده الجلال والوقار والمودة إلى الله بصفاء وبعد الأناشيد النبوية والدينية اختتم حفل التبرك هذا العام بالشعرة المباركة . انتهى من مجلة المصور .

نقول : ولقد سمعنا أنه يوجد بضعة أشخاص لدى كل واحد منهم شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخرجونها عند إقامة الاحتفالات بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ويعرضونها على الناس المجتمعين فى الحفلة الرسمية التى تقام فى مسجد البلد الجامع وهو أكبر مسجد فى مدينة حلب ، وهذه عادة جارية إلى يومنا هذا .

ومما يوجد بالآستانة كتاب النبى صلى الله عليه وسلم للمقوقس عظيم القبط ، وإليك صورة نفس هذا الكتاب الكريم .

• • •



هذه صورة للكتاب الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط أي حاكم مصر ، وهذا الكتاب مختوم بختمه صلى الله عليه وسلم - أخذنا هذه الصورة الفتوغرافية من كتاب «مرآة الحرمين» لأمير الحج المصرى إبراهيم رفعت باشا المتوفى سنة (١٣٣٠) ألف وثلاثمائة وثلاثين هجرية تقريباً رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ترجمة حياته في كتابنا المطبوع «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» - وأصل هذه الصورة الفتوغرافية أي نفس كتاب النبي صلى الله عليه وسلم موجود في دار الآثار النبوية بالقسطنطينية ، كما ذكره إبراهيم رفعت باشا في كتابه المذكور فإنه قال فيه ما نصه . صورة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان

مختوما للمقوقس عظيم القبط فى السنة السابعة الذى أرسله مع حاطب بن أبى بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة - وفى سنة (١٢٧٥) ألف ومائتين وخمس وسبعين هجرية ، وجد نفس هذا الكتاب بعض سواحى الافرنج الفرنساويين فى غدين مع جملة أسفار قبطية ، ابتاعها من بعض رهبان القبط بدير سكندة الحيم من مدن صعيد مصر وتوجه به إلى السلطان عبد الحميد خان العثمانى وأعطاها له ، فأمر بحفظه مع بعض الآثار النبوية بالقسطنطينية ، ونقلت هذه الصورة من الأصل على طبقه فى الرسم ، اه كلامه - ومعنى كلمة « غدين» المذكورة الطين الذى يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطبا كان أو يابساً كما جاء فى المنجد .

فأنت ترى فى الصورة خط الكتاب هو بالكتابة الكوفية التى كانت معروفة فى أوائل الإسلام -وهذا نص ما جاء فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإنما عليك إثم كل القبط ، ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » ثم الختم النبوى محمد رسول الله ، ويلاحظ أنه كتب أولا كلمة محمد ثم فوقها كلمة رسول ثم فوقها لفظ الجلالة ليكون فى أعلا الجملة ، وهذا منتهى الأدب الرفيع مع الله جل جلاله .

نقول : إننا نأسف لعدم زيارتنا الآستانة التى كانت عاصمة الخلافة الإسلامية ، فإن فيها من المتاحف والآثار مالا يوجد فى غيرها من البلاد الإسلامية ولا أدرى أمرها الآن بعد القضاء على الخلافة والخلفاء فى الدولة العلية سنة ١٣٣٤ ألف وثلثمائة وأربع وثلاثين ه ، عقب الحرب العظمى الأولى .

هذا ولقد رأينا بعض الرسائل المطبوعة باللغة اللاتينية فى تركيا يذكر

فيها جميع ما يوجد من الآثار النبوية بالآستانة بالغرفة الخاصة فى قصر (طوبقابو) فى هذا الجناح توجد الآثار النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأشرف التحية .

فى هذه الرسائل المطبوعة بالآستانة رسالة باللغة العربية اسمها (الأمانات المقدسة) وهى مطبوعة طبعة جميلة أنيقة بالألوان التى تشرح الصدور ، مع صور جميع الآثار الموجودة بالآستانة طبعتها وزارة الدعاية والسياحة بالآستانة ، وإليك ملخص ما جاء فيها :

١ — نفس الخطاب الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس — وهو فى صندوق من الذهب .

٢ — سيفان لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — قوس للنبى صلى الله عليه وسلم .

٤ — بردة النبى صلى الله عليه وسلم وهى فى صندوق من الذهب المزخرف ، وهذه البردة هى التى أهداها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير رضى الله تعالى عنه عند ما أنشده قصيدته الشهيرة.

٥ — علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى رايته ، وهو فى داخل صندوق خاص جميل .

٦ — مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الذى كان يقرأ فيه بنفسه .

٧ — شعرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى صندوق خاص من الفضة .

٨ — مرزابان للكعبة المشرفة ، الأول صنع فى عهد السلطان سليمان القانونى ، والثانى صنع فى عهد السلطان أحمد الأول من سلاطين آل عثمان الاتراك رحمهما الله تعالى .

٩ — قفل ومفتاحان للكعبة المعظمة .

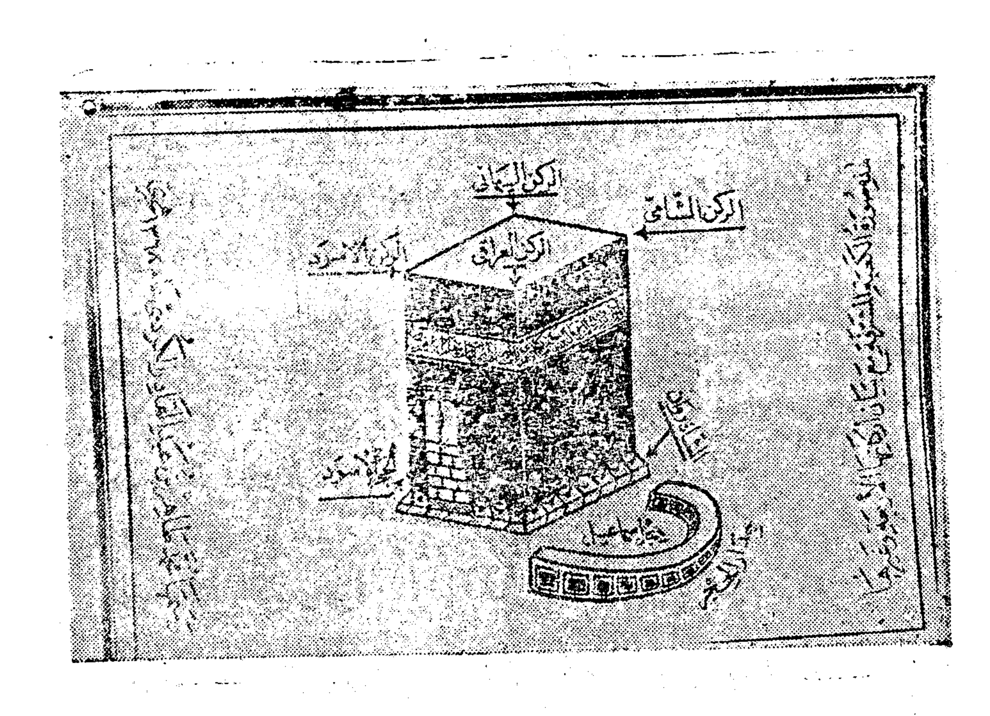
١٠ — سيوف خاصة لبعض كبار الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

كل هـــذه الأشياء محفوظة بالأستانة بعناية تامة فى حرز مكين ، وفى صناديق خاصة بعضها مصنوعة من الذهب وبعضها من الفضة ، وكلها مزخرفة منقوشة بنقوش دقيقة عجيبة ، وهذا الجناح الخاص بالأمانات المقدسة أى الآثار النبوية ، مبنى بناء فنيا فى غاية من الروعة والجمال — وإليك بعض الصورة الملونة فى الأصل .

* * *

« فإن قيل » أين ذهبت الآثار النبوية والمخلفات الإسلامية « نقول » ذهب أكثرها وضاع غالبها فيما مضى من القرون السابقة بسبب الحروب والفتن ، فن أعظم مصائب الحروب ضياع الآثار والمخلفات القومية كما هو معروف لدى الجميع — ولقد كان فى المدينة المنورة فى أحد البيوت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاهدناها فى سنة (١٣٣٨) ألف وثلاثمائة وثمان وثلاثين هجرية ؛ واليوم لاوجود لها فلا نعلم أين ذهبت — ولكن يوجد بالمدينة المنورة فى بيت الشيخ على بن أبى بكر أبى الجود الحيدانى الأنصارى ، قوس سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وطوله (١٢٠) سنتمتر وعرضه « ٤٣ » سنتمتر ، ولقد شاهدنا هـــذا القوس فى بيت المذكور فى سنة « ١٢٧٦ » ألف وثلاثمائة وست وسبعين هجرية ، ولقد أخبرنا المذكور أن هذا القوس كان عند جدهم الأول أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه ثم توارثته ذريته الأكبر فالأكبر حتى وصل إليه أى إلى الشيخ على أبى الجود الأنصارى .

هذا ما علمناه ، والله تعالى أعلم بما يوجد فى البلاد الإسلامية من الآثار .



الركن اليماني
الركن الشامي
الركن العراقي
الركن الأسود
الحجر الأسود
حجر إسماعيل

الفصل الخامس

فى تبرك الصحابة بتقبيل يده ورأسه وقدمه صلى الله عليه وسلم

للعرب الأقدمين كما أثبته التاريخ عادات جميلة وتقاليد متوارثة وأخلاق حميدة منها الأنفة والعزة، والشهامة والنخوة وإباء الضيم و الذلة، ومنها الجود والكرم وحفظ الزمار والوفاء بالعهود، ومن عادتهم ألا يقبلوا يد أحد أو رجله أو رأسه، بل كان بعضهم يأبى أن يقبل أطفاله الصغار، فقد ورد فى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله عنها قالت: جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة، فأفهمه أن تقبيلهم من رقة القلوب ومن الرحمة التى أودعها الله فى قلوب الآباء والأمهات، ومن هنا لم يألفوا تقبيل الأيدى والأقدام ولا تقبيل الرأس ـ والأخشام.

فلما بعث الله تعالى رسول الهدى والسلام إلى جميع الأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ورأوا منه صلى الله عليه وسلم الصدق والأمانة وعظيم الخلق والاستقامة، ورأوا فى دعوته تهذيب القلوب وترقيقها والرحمة الإنسانية للصغار والكبار والحنان والشفقة والمحبة والعطف ـ استجاب لدعوته أولو الأبصار النيرة والفطر السليمة واصطبغوا بصبغة الإسلام وهى صبغة الله وأحبوه حبا عظيما أكثر من حبهم لأنفسهم وأولادهم وأموالهم وأهليهم كيف لا وهو الذى بعثه الله تعالى رحمة للعالمين كافة، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكانوا رضى الله تعالى عنهم يحبونه أعظم الحب وأجله وأبلغه ويتقربون إلى الله بذلك وبطاعته واتباعه وبكل ما يتصل به من قول وفعل وأثر ويشعرون بالطمأنينة والسكينة وراحة القلوب بتعظيم

آثاره والتماس الخير والبركة فيها ، فبعضهم يقبل رأسه الشريف ، وبعضهم يقبل يده ، وبعضهم يقبل قدمه ، وبعضهم يأخذ من عرقه العطر ، وبعضهم يتمسح بماء وضوئه الطاهر وبعضهم يحتفظ بشيء من شعراته أو ثيابه أو آنيته صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك مما ذكرناه في الفصول المتقدمة ، وإذا كان تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب كما جاء في سورة الحج فإن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وابتغاء الخير والبركة منها من أجل مظاهر التقوى والصلاح .

والدليل على مشروعية تقبيل اليد ونحوها ما وقع معه صلى الله عليه وسلم وأقره فقد جاء في تفسير الإمام ابن كثير لآية « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » ما نصه : عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب . ثم قلنا لو دخلنا المدينة ثم بتنا ، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال (من القوم) فقلنا نحن الفرارون فقال (لا بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين) قال فأتيناه حتى قبلنا يده - قال ابن كثير : هكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عن يزيد بن أبي زياد .

وقال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به وزاد في آخره وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « أو متحيزا إلى فئة » قال أهل العلم معنى قوله « العكارون » أي العرافون إلى آخر كلامه انتهى منه .

وقصة سيدنا عداس مولى شيبة بن ربيعة وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية من قرى الموصل بالعراق بالقرب من بلدة أربيل بينهما نحو ساعتين بالسيارة

وذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب من مكة إلى الطائف ليدعو أهلها إلى الإسلام ، فدعاهم إلى عبادة الله تعالى فلم يستجيبوا له وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويؤذونه ، وقعدوا صفين فى طريقه ، فلما مر بهم صلى الله عليه وسلم جعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه ، وألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة وهما فيه يريان ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى .فتحركت له رحمهما ، فدعوا غلامهما عداساً، وقالا له: خذ عنقودا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، فأقبل عداس بطبق العنب فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل من هذا العنب ، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فيه قال « بسم الله » ثم أكل ، فنظر عداس فى وجه عليه الصلاة والسلام ثم قال : والله إن هذا الكلام مايقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أهل أى البلاد أنت ياعداس وماديك؟ قال نصرانى وأنا رجل من أهل نينوى ، فقال له صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل رأسه ويديه وقدميه رضي الله تعالى عنه .

• • •

وقال المحدث الشهير الإمام العزيزى فى شرحه على الجامع الصغير عند حديث (إن فيك لخصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله الحلم والأناة) رواه مسلم والترمذى — ومعنى الأناة بالقصر والفتح التثبت وعدم العجلة — ما نصه : —

وسبب هذا الحديث هو مارواه أبو يعلى قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه إذ قال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير

أهل المشرق فقام عمر فتوجه نحوهم فلقى ثلاثة عشر راكبا فقال من القوم ؟ فقالوا من بنى عبد القيس ، قال ما أقدمكم هذه البلاد إلا التجارة؟ قالوا لا ، قال أما إن النبى صلى الله عليه وسلم قد ذكركم فقال خيراً ثم مشى معهم حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : صاحبكم الذى تريدون ، فرمى القوم بأنفسهم عن ركابهم ، فمنهم من مشى إليه ، ومنهم من هرول ، ومنهم من سعى حتى أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابتدره القوم ولم يلبسوا إلا ثياب سفرهم فأخذوا بيده فقبلوها ، وتخلف الأشج وهو أصغر القوم فى الركاب حتى أناخها وجمع متاع القوم وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما وجاء يمشى حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دمامته قال - يارسول الله إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة ، قال يارسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما ؟ قال بل الله تعالى جبلك عليهما قال الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله ، وروى أنه لما أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم قربه وأجلسه إلى جانبه ثم قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تبايعون على أنفسكم وقومكم ؟ فقال القوم نعم . فقال الأشج يارسول الله إنك لم تراود الرجل عن شىء أشد عليه من دينه نبايعك على أنفسنا وترسل من يدعوهم فمن اتبعنا كان منا ومن أبى قاتلناه ، قال صدقت إن فيك لخصلتين الحديث قال القاضى عياض فالأناة : تربصه حتى ينظر فى مصالحه ولم يعجل ، والحلم : هذا القول الذى قاله الدال على صحة عقله وجودة نظره للعواقب - انتهى من العزيزى على الجامع الصغير .

وجاء فى تفسير الإمام ابن كثير لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشيا . إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم عفا الله عنها والله غفور رحيم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين » ماخلاصته .

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال أين أبي؟ قال « في النار » فقام آخر فقال من أبي؟ فقال « أبوك حذافة » فقام عمر بن الخطاب فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن إماما إنا يارسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية (يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) الآية إسناده جيد ، وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من السلف منهم أسباط عن السدى أنه قال في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) قال غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا فقال « سلوني فإنكم لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله ابن حذافة وكان يطعن فيه فقال يارسول الله من أبي فقال أبوك فلان فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر بن الخطاب فقبل رجله وقال : يارسول الله رضينا بالله ربا وبك نبيا ، وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما فاعف عنا عفا الله عنك فلم يزل به حتى رضى ، فيومئذ قال : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ـ انتهى .

وجاء في « الإصابة في تمييز الصحابة » للإمام ابن حجر العسقلاني عند ترجمة طلحة بن البراء الأنصاري رضي الله تعالى عنه . أنه لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فجعل يدنو منه ويلصق به ويقبل قدميه ويقول : مرني بما أحببت يارسول الله فلا أعصى لك أمراً ، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب به ، ثم مرض ومات ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره ودعا له وقال « اللهم الق طلحة وأنت تضحك إليه وهو يضحك إليك » . انتهى ملخصا .

وجاء في كتاب « رياض الصالحين » عن صفوان بن عسال رضي الله

تعالى عنه قال : قال يهودى لصاحبه إذهب بنا إلى هذا النبى ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات ، فذكر إلى قوله : فقبلا يده ورجله وقالا نشهد أنك نبي - رواه الترمذى وغيره بأسانيد صحيحة .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قصة قال فيها : فدنونا من النبى صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده - رواه أبو داود - اه من رياض الصالحين .

وجاء مثل هذا أيضاً فى كتاب (الاستيعاب فى أسماء الأصحاب) للإمام المحدث القرطبي . وجاء أيضاً فى كتاب الإصابة عند ترجمة أبي بزة المكى المخزومى ما ملخصه :

حدثنا أحمد بن أبي بزة وهو ابن محمد بن القاسم بن أبى بزة حدثنى أبى عن جدى عن أبي بزة قال دخلت مع مولاى عبد الله بن السائب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده ورأسه ورجله - قال مؤلف الكتاب المذكور: وأخرجه أبو بكر بن المقرى فى جزء الرخصة فى تقبيل اليد عن أبى الشيخ واستدركه أبو موسى ، انتهى من الإصابة .

بل انظر فى ترجمة الإمام البخارى رضى الله تعالى عنه الموجودة فى أول صحيحه ، فقد جاء فيها ما نصه : إن الإمام مسلماً صاحب الصحيح رضى الله تعالى عنه ، كان كلما دخل عليه يقول له : دعنى أقبل رجليك ياطبيب الحديث فى علله وسيد المحدثين - اه - فانظر رحمنا الله تعالى وإياك ، كيف يعرف هذان الإمامان العظيمان وهما من خير القرون مقام بعضهما ، ويعترف كل منهما بفضل صاحبه ويجله ويعظمه ، « ولا يعرف الفضل إلا ذووه » فالذى ينكر احترام أهل الفضل وتقبيل أيديهم ليس له من العلم والعقل شىء .

وقد تقدمت قصة تقبيل سواد بن غزية رضى الله عنه بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة هذه الرسالة فراجعها - فهنيئاً لمن مس وقبل أى جزء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويا سعادة من رآه .

يقول مؤلف هذه الرسالة : هذا ماوقفنا عليه فى بعض الكتب المعتمدة مما ورد فى تقبيل يده صلى الله عليه وسلم أو رأسه أو قدمه ، وهناك بعض كتب أخرى مذكور فيها ذلك أيضاً لم نذكرها روما للاختصار ، كما أن هناك بعض المؤلفات فى جواز تقبيل أيدى الوالدين والعلماء والصالحين ، فمن ينكر ذلك بعد ماقدمناه من الأدلة والروايات الصحيحة فخطؤه كبير - وفيما ذكرناه كفاية للمنصف العاقل والله تعالى هو الهادى إلى سواء السبيل، وهو حسبى ونعم الوكيل - وصلى الله على سيدنا ونبينا « محمد » وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

وجاء فى كتاب الأذكار للإمام النووى رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، فى باب مسائل تتفرع على السلام ما نصه :

(فصل) إذا أراد تقبيل يد غيره ، فإن كان ذلك لزهده وصلاحه ، أو علمه أو شرفه ، أو نحو ذلك من الأمور الدينية ، لم يكره بل يستحب - وإن كان لغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند أهل الدنيا ونحو ذلك فهو مكروه شديد الكراهة ، وقال المتولى من أصحابنا لا يجوز فأشار إلى أنه حرام .

روينا فى سنن أبى داود عن زارع رضى الله عنه وكان فى وفد عبدالقيس قال فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبى صلى الله عليه وسلم ورجله ، قلت زارع بزاى فى أوله وراء بعد الألف على لفظ زارع الحنطة وغيرها . وروينا فى سنن أبى داود أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما قصة قال فيها : فدنونا يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده ، وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير ، وأخيه ، وقبلة غير خده من أطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة واللطف ومحبة القرابة : فسنة ، والأحاديث فيه كثيرة صحيحة مشهورة وسواء الولد الذكر والأنثى - وكذلك قبلته ولد صديقه وغيره من صغار

الأطفال على هذا الوجه ، وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق ، وسواء فى ذلك الوالد وغيره بل النظر إليه بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبى .

روينا فى صحيحى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبل النبى صلى الله عليه وسلم الحسن بن على رضى الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمى فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ماقبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « من لايرحم لايرحم » وروينا فى صحيحيهما عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : تقبلون صبيانكم ؟ فقالوا نعم ؛ قالوا لكنا والله ما نقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو أملك إن كان الله تعالى نزع منكم الرحمة » هذا لفظ إحدى الروايات وهو مروى بألفاظ . وروينا فى صحيح البخارى وغيره عن أنس رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم فقبله وشمه ، وروينا فى سنن أبى داود عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : دخلت مع أبى بكر رضى الله عنه أول ماقدم المدينة فإذا عائشة ابنته رضى الله عنها مضطجعة قد أصابتها حمى فأتاها أبو بكر فقال : كيف أنت يابنية ؟ وقبل خدها ، وروينا فى كتب الترمذى والنسائى وابن ماجة بالأسانيد الصحيحة عن صفوان بن عسال الصحابى رضى الله عنه ، وعسال بفتح العين وتشديد السين المهملتين ، قال قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات ، فذكر الحديث إلى قوله : فقبلوا يده ورجله ، وقالا نشهد أنك نبى ، وروينا فى سنن أبى داود بالإسناد الصحيح المليح عن إياس بن دغفل قال رأيت أبا نضرة قبل خد الحسن بن على رضى الله عنهما . قلت أبو نضرة بالنون والضاد المعجمة اسمه المنذر بن مالك بن قطعة تابعى ثقة ، ودغفل بدال مهملة مفتوحة ثم غين معجمة ساكنة ثم فاء مفتوحة ثم لام ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقبل ابنه سالما

ويقول : اعجبوا من شيخ يقبل شيخاً وعن سهل بن عبد الله التسترى السيد الجليل أحد أفرد زهاد الأمة وعبادها رضى الله عنه أنه كان يأتى أبا داود السجستانى ويقول : أخرج لى لسانك الذى تحدث به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقبله فيقبله ، وأفعال السلف فى هذا الباب أكثر من أن تحصر والله أعلم .

(فصل) ولا بأس بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك ، ولا بتقبيل الرجل وجه صاحبه إذا قدم من سفر ونحوه .

روينا فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى الحديث الطويل فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت دخل أبو بكر رضى الله عنه فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أكب عليه فقبله ثم بكى ، وروينا فى كتاب الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم زيد ابن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبى صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه فاعتنقه وقبله : قال الترمذى حديث حسن . وأما المعانقة وتقبيل الوجه لغير الطفل ولغير القادم من سفر ونحوه فمكروهان ، نص على كراهتهما أبو محمد البغوى وغيره من أصحابنا ، ويدل على الكراهة ما رويناه فى كتابى الترمذى وابن ماجة عن أنس رضى الله عنه قال : قال رجل يارسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحنى له ؟ قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال لا ، قال : فيأخذه بيده ويصافحه؟ قال : نعم . قال الترمذى حديث حسن . قلت وهذا الذى ذكرناه فى التقبيل والمعانقة ، وانه لا بأس به عند القدوم من سفر ونحوه ، ومكروه كراهة تنزيه فى غيره هو فى غير الأمرد الحسن الوجه وأما الأمرد الحسن فيحرم بكل حال تقبيله ، سواء قدم من سفر أم لا ، والظاهر أن معانقته كتقبيله أو قريبة من تقبيله ، ولا فرق فى هذا بين أن يكون المقبل والمقبل رجلين صالحين أو فاسقين ، أو أحدهما صالحاً فالجميع سواء ، والمذهب الصحيح عندنا تحريم النظر إلى الأمرد الحسن ولو كان بغير شهوة وقد أمن الفتنة ،

فهو حرام كالمرأة لكونه فى معناها . انتهى من كتاب الأذكار للإمام النووى رحمه الله تعالى .

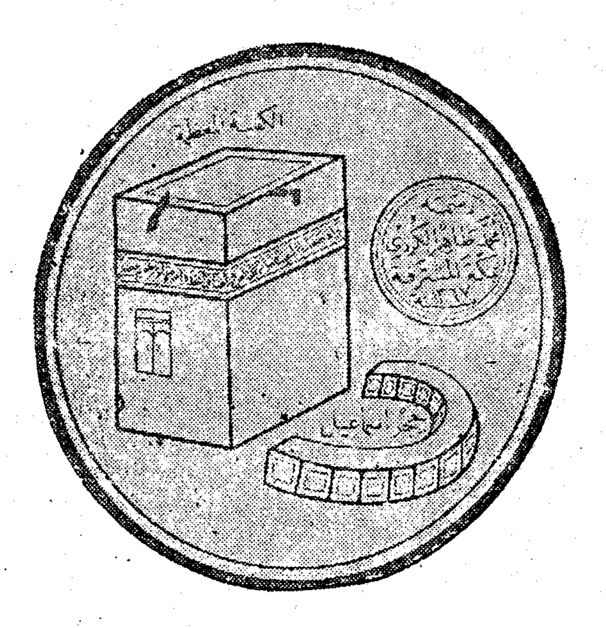
ولقد قلت فى هذه المسألة هذه الأبيات :

إذا رأينا والدينا الكرما والعلماء العاملين العظما
والأولياء الصالحين الكاملين
والأمراء الحاكمين العادلين
فإننا ننهض للقيـــام نلقاهم باللطف والإكرام
ثم نقبل لهم أيديهم ورأسهم وربما أرجلهم
وذاك للتكريم والتقدير وإنما الأعمال بالضمير
ننوى بهذا العمل المبرور رضاء رب محسن غفور
فهؤلاء صفوة الأجناس وأنهم من فضلاء الناس
فانهم فى رتبـــة الكمال قدهم بلغت مبلغ الرجال
والأنبيا لهم علو المنزله فهم كرام عظماء المنزله
عليهم الصلاة والســـلام فى كل وقت ما بقى الإسلام
إن نحن قبلنا لهم أقدامهم أو نحن قبلنا لهم أعتابهم
فليس إلا من عظيم الحب تعظيمهم فيه رضاء الرب
لا نبتغى من ذاك إشراكا ولا
معونة فهم ضعاف السبلا
فالله أقوى وأجل كرما وهو العزيز راحم للرحما
فلا إله غـــيره فى الكون وهو الغنى عن عباد الكون
سبحانه جل وعز الله من التجا إليه لا ينساه

* * *

هذا — وقد ثبت مما أسلفناه من الروايات الصحيحة فى تقبيل بعض الصحابة يد الرسول صلى الله عليه وســـلم أو رأسه أو قدمه أن ذلك مشروع لإقراره صلى الله عليه وسلم ذلك وعدم نهيه عنه ، والتقرير منه صلى الله عليه وسلم دليل المشروعية والجواز .

ومع جوازه شرعا نراه لم يقع من أكثر الصحابة ولم يفش بينهم بحيث يصير عادة لهم فى تحيته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه حين لقائه . عليه الصلاة والسلام .



السر فى عدم شيوع التقبيل فى تحيته صلى الله عليه وسلم

والسر فى عدم شيوعه واعتياده — يقوم على دعامتين :

(الأولى) : أنه صلى الله عليه وسلم كان كثير التواضع شديد الحياء مغايرا فى اخلاقه وعاداته وسائر شؤونه أخلاق الملوك ، والقياصرة ، وعاداتهم التى قامت على التعاظم والتكبر ، والسلطان والتجبر .

وقد بعث صلى الله عليه وسلم هادياً للناس ، معلماً للخير ، داعياً إلى الحق والفضائل ومكارم الأخلاق .

(الثانية) : أن مما جبل عليه العرب فى بداوتهم الأنفة والعزة وإباء

كل ما فيه للنفس ذلة ، ولذلك لم يتعارفوا التحية فيما بينهم قديماً بتقبيل اليد أو الرجل أو الرأس ، ولم تكن عندهم مألوفة ولا مستساغة ، وإنما عرفت تحية للملوك والجبابرة .

فكان صلى الله عليه وسلم يكره أن تفشو بين جماعات المسلمين عاداتهم وتقاليدهم وهى مظاهر طغيان وجبروت ، كما كان يكره أن تشيع بينهم رسوم أهل الكتاب وعاداتهم ، وهى ولائد جهل وعمى ، ولذلك حث فى كثير من المواطن على مخالفة الأعاجم فيما اعتادوه . وأهل الكتاب فيما ابتدعوه ، وصار من خصائصهم وتقاليدهم المتوارثة .

وذلك ليكون لأمة الإسلام وهى خير أمة أخرجت للناس بنص ، الكتاب كيانها الخاص وطابعها الإسلامى العربى الكريم البرىء من شوائب جبرية الأعاجم وجاهلية الكتابيين .

ذلك هو الدستور العام لهـــذه الأمة التى رضى لها الله الإسلام دينا وخصها به شرعاً ومنهاجاً ، وبعث إليها أفضل خلقه هادياً ومعلماً ومرشداً ومشرعاً .

وهو صلى الله عليه وسلم حين يأبى اتخاذ هذه التقاليد عادة عامة لأمته لم يأب التحية بتقبيل اليد أو الرجل أو الرأس فى بعض الحالات كما جاء فيما سلف من الروايات حين أمن خطرها واندفع ضررها كيف لا . والمقبل صحابى جليل محب للرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من حبه لنفسه وولده وماله وأهله ، لا يشعر بشىء من الذلة والخنوع فى تقبيل يد سيد الخلق أو رجله أو رأسه الذى فضله الله على العالمين ، وهدى به أمته أجمعين ، ورسم لها طريق الفوز والسعادة يوم الدين . بل يجد فى ذلك روحا وراحة ، وطمأنينة وسكينة لقلبه ، وطاعة وقربة إلى ربه ، وبركة وذخراً له فى دنياه وآخرته .

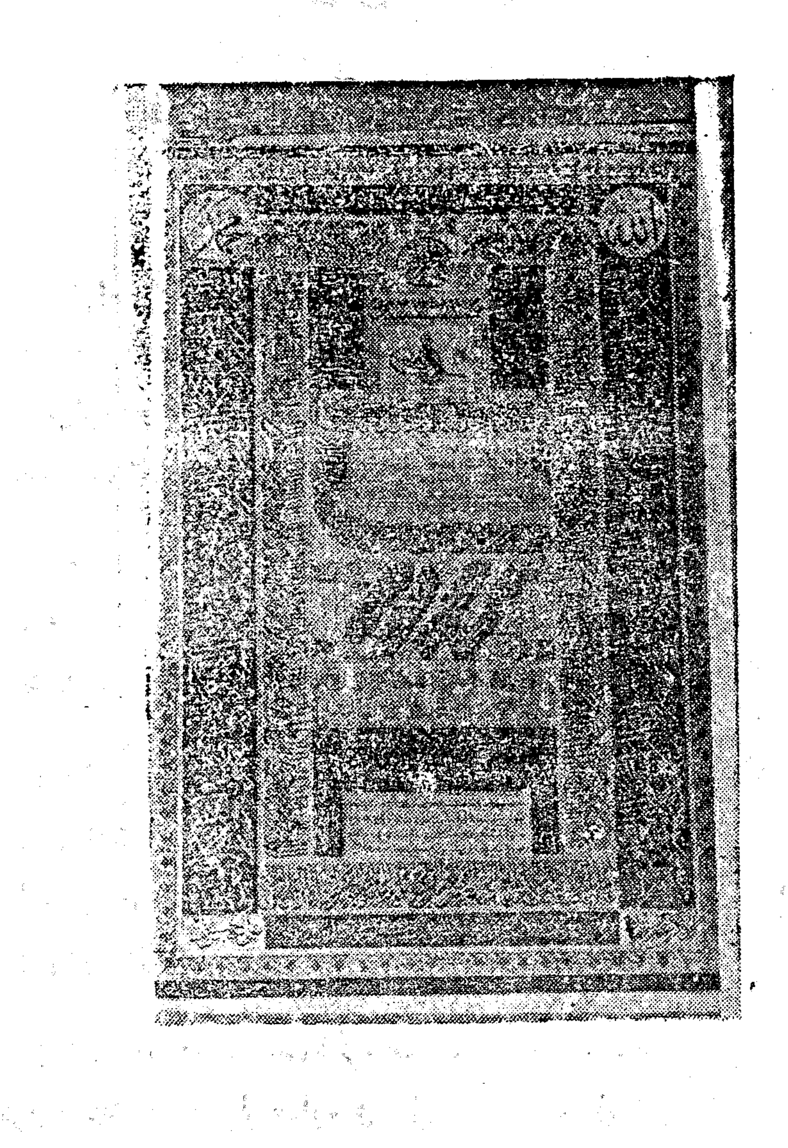
والمقبل يده أو رجله أو رأسه هو رسول الهدى الكريم الذى قال الله فى شأنه « وإنك لعلى خلق عظيم » ، وأمرنا بالصلاة عليه والتسليم ، وهو أعظم الخلق حلماً وسماحة ، ورأفة ورحمة ، وشفقة وحناناً ، فلا جبرتة ولا تعاظم ولا تكبر بل هو خلق آخر أعظم مباين لأولئك الجبابرة المتعاظمين .

وإن هؤلاء الصحابة الذين تشرفوا بتقبيل اليـــد الشريفة أو الرجل أو الرأس الشريف لو أريدوا على تقبيل يد أعظم ملك أو قيصر فى الدنيا فضلا عن رجله ورأسه ترغيباً بملء الأرض ذهباً أو ترهيباً بأقسى العقاب أذى لم يقبلوه ولم يفعلوه بحال ، ولكنهم أقبلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم قلوب واثقة ونفوس راضية فرحة مستبشرة يقبلون يده أو رجله أو رأسه تبركا وتشرفا والتماساً للخير بمس جسده الشريف .

حقا إنها لأمنية كل مسلم إلى يوم الدين أن يكون ممن سبقت له الحسنى فنال شرف الصحبة والقرب من الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وسعد بتقبيل قدمه قبل يده ورأسه الشريف .

.. فيالها من نعمة عظمى ومنقبة كبرى وسعادة دائمـــة فى الأولى والأخرى .

فاعلم ذلك — أيها المسلم التقى — ولا تقس حال الصحابة مع الرسول الأعظم بحال عامة الناس مع الملوك والجبابرة ، فإن البون بين الحالين شاسع والفرق عظيم ، والله يتولى هدانا وهداك بمنه وكرمه وإحسانه .



الفصل السادس

فيما جاء فى القرآن فى فضل الرسول

صلى الله عليه وسلم

جاء فى القرآن الكريم ذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كثير من الآيات والسور : كسورة الأنفال ، والتوبة ، والإسراء ، والأحزاب ، وسورة ، محمد ، والفتح ، والحجرات ، والنجم ، والقلم ، والضحى ، والشرح والكوثر ، وغيرها .

ونجتزىء هنا بشرح ما جاء فى سورة "الشرح من امتنان الله تعالى على رسوله برفع ذكره وبيان عظيم فضله ، قال تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك » .

(١) فرفع الله تعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه وشرف اسمه فى القرآن الكريم الذى يتلوه كل مؤمن ومؤمنة إلى قيام الساعة وفى غيره من شعائر الإسلام وكفى بذلك فخراً وشرفاً وذكراً حسناً فى الأولين والآخرين .

(٢ ، ٣) ورفع الله تعالى ذكره صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالرسالة مقرونة بالشهادة لله بالوحدانية فى كل أذان يسمع فى ليل ونهار على المنائر وغيرها فى جميع أقطار الإسلام ، وفى تشهد كل صلاة مكتوبة أو مسنونة .

(٤) وبأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أمراً مطلقا غير مقيد بحال

وحين بقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .

(٥) وبثناء الله تعالى عليه ومدحه بقوله : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ فما أغناه بعد هذا عن مدح المادحين .

(٦) وبحفظه من الناس حتى لا يقدر أحد أن يمسه بسوء بقوله تعالى : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ .

(٧) وبمحبة الله تعالى وهباته العظيمة له بقوله تعالى : ﴿ والضحى والليل إذا سجى . ماودعك ربك وماقلى . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ .

(٨) وبجعل طاعته طاعة لله وقرنها بها بقوله تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ ، وقوله : ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ .

(٩) وبوجوب التسليم له والرضا بحكمه ونفي الإيمان عمن يخالف ذلك بقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .

(١٠) وبقبول استغفاره المذنبين لجاهه عند ربه بقوله تعالى ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ .

(١١) وبوجوب الخضوع لقضائه وتحريم عصيانه بقوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ .

(١٢) وبتفضيله على جميع الأنبياء وأخذ الميثاق عليهم وبالتبعية على أممهم

(٦ — تبرك الصحابة)

بالإيمان به وتصديقه ونصرته بقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

وبهذه الآية قد عقد الله له لواء الإمامة لجميع الرسل قبل وجوده فى عالم الأكوان فهو قائد الأنبياء وسيد ولد آدم أجمعين .

(١٣) وبوجوب توقيره وتعظيمه ورعاية حرمته بقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم ﴾ .

(١٤) وبتفضيله وتفضيل أمته لأجله على سائر الأمم بقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾.

(١٥) وبعظم دينه الذى بعث به وأنه تعالى لايقبل من عباده سواه بقوله تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ، وقوله ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ .

(١٦) وبإرضاء الله له بتشريع مايهواه من الصلاة إلى الكعبة بدل بيت المقدس بقوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ .

(١٧) وبختم النبيين به بقوله تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

(١٨) وبأنه أرأف بالمؤمنين وأنفع لهم من أنفسهم وأن أزواجه أمهات

للمؤمنين فى التوقير والتعظيم والحرمة بقوله تعالى: ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾.

(١٩) وبتحريم فعل مايتأذى به ولا يحبه ومنه تحريم التزوج بمن يموت عنهن من الأزواج بقوله تعالى: ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾ وبقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه (نضجه) ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحى منكم والله لايستحى من الحق ﴾.

(٢٠) وبوجوب توقيره وتعظيمه والأدب فى مخاطبته وندائه وفى كل شأنه وإيثار أمره على ماعداه بقوله تعالى: ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾. وقوله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم. يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾.

(٢١) وبتعظيم شأنه بقوله تعالى مخاطبا لنسائه (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما. يانساء النبي لستن كأحد من النساء) وشرفهن مستمد من شرفه صلى الله عليه وسلم، وبالتفويض إليه فى أمرهن بقوله تعالى (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن).

ولما نزلت هذه الآية قالت عائشة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أرى ربك يسارع فى هواك كما فى صحيح البخارى .

وقوله تعالى مخاطبا لزوجتيه (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) .

(٢٢) وبالإنعام عليه بأعظم النعم بقوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصراً عزيزاً) وبقوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) .

(٢٣) وبإكرام الله تعالى له ولأمته من أجله بقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) .

(٢٤) وبإراءته آياته الكبرى وتقريبه وخطابه فى ليلة الإسراء والمعراج وهما من أظهر معجزاته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا) وقوله (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح » الآية . بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون « ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا » اهـ .

اللهم صل وسلم على هذا النبي الكريم الذى أنقذنا من الظلمات إلى النور بإذنك وإرادتك ومشيئتك وأمرك صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

(٢٥) وبوجوب استجابة دعوته إذ فيها خلود السعادة للمؤمنين بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) .

إلى غير ذلك مما جاء فى القرآن العظيم ناطقا بفضله مبينا عظيم قدره ورفعة شأنه صلى الله عليه وسلم . فما أعظم قدره وأجل منزلته ، وما أكرمه على ربه فى الدنيا والآخرة ، وما أعظم كتابه العربى المبين الذى بعثه الله به رحمة للعالمين . وما أعظم أمته التى استجابت لدعوته وآمنت برسالته وعملت بشريعته ولذلك خصت بخصائص لم تنلها الأمم السابقة . فالحمد لله على هذه النعم التى لا تحصى ، والشكر له إذ هدانا للإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

ولما بعثه الله عز وجل إلى الناس كافة ، وأنزل عليه القرآن العظيم وفيه دلائل رفع ذكره وعظم شأنه ، وضمن الله حفظ القرآن إلى يوم الدين بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) كان التنويه بفضله وعظيم قدره صلى الله عليه وسلم دائما بدوام القرآن قائما على مدى الزمان إلى يوم الدين .

وأكبر دليل على تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق قوله عليه

الصلاة والسلام « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ، فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة . فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » رواه مسلم فى أوائل كتاب الصلاة فى باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه . . . الخ .

فتأمل رحمنا الله تعالى وإياك فى الدنيا والآخرة فى هذا الحديث الشريف فقوله صلى الله عليه وسلم « ثم صلوا على » فيه الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء الأذان وانتهاء السامع من محاكاة المؤذن مثل قوله ، وفيه الأمر بسؤال الله عز وجل الوسيلة لرسوله صلى الله عليه وسلم ، والوسيلة هى المنزلة الكبرى الفريدة الوحيدة التى لا ثانى لها فى الجنة ، وهى خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلاة والسلام « إنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو » فقوله صلى الله عليه وسلم « وأرجو أن أكون أنا هو » فيه عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم ، فهذه المنزلة العظمى خاصة بنبينا « محمد » صلى الله عليه وسلم ليس لأحد من الخلائق مثلها فى الجنة . وقوله صلى الله عليه وسلم « حلت له الشفاعة » اى وجبت لقائل ذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فياسعادة من نزلت عليه شفاعة هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم « فالحمد لله الذى جعلنا من أمته وجعلنا أهلا لشفاعته بفضله ورحمته .

وسؤال الوسيلة يكون كما ورد فى الحديث الصحيح وهو قوله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يسمع النداء » اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة » ـ رواه البخارى .

ويرحم الله الإمام البوصيرى حيث يقول فى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى بردته :

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارىء النسم
منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

وقال أيضا فى همزيته رحمه الله تعالى ورضى عنه :

كيف ترقى رقيك الأنبياء ياسماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا ل سناء منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصـ ـدر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء
لم تزل فى ضمائر الكون تختا ر لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء

إلى آخر قصيدته رحمه الله تعالى وأحسن إليه .

° ° °

هذا ومن أعظم دلائل فضله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى قد خصص بعض عباده المؤمنين الأتقياء من العلماء العاملين والأدباء المخلصين ، خصهم فى مدح عبده ورسوله سيدنا « محمد » صلى الله عليه وسلم وذلك من عهد الصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم إلى يومنا هذا بل وإلى قيام الساعة . ولم يصل إلينا من الأمم الماضية من قام بمدح نبيهم ورسولهم . ولا شك أن

هذا المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ودواوين الشعراء من العرب والعجم مليئة بالقصائد والمدائح وهي عديدة لاتحصى ولا تستقصى.

اللهم صل على سيدنا ونبينا «محمد» وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وأنصاره وأتباعه وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين.

* * *

وما أحسن قول العلامة الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى فى شرحه على متن الهمزية فى مدح خير البرية للامام البوصيرى رحمهما الله تعالى، المطبوع بالمطبعة العامرة بمصر فى سنة (١٢٩٢) ألف ومائتين واثنين وتسعين هجرية، فقد قال فى خطبة كتابه رحمه الله تعالى وأحسن إليه ورحمنا معه بفضله ورحمته ما نصه: (أما بعد) فمما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا «محمد» صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وأن أحواله وصفاته وشمائله لاتستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق وأن حقه على الكمل فضلا عن غيرهم أعظم الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه فى جلاله وتوقيره وإعظامه، واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه، وإن المادحين لجنابه العلى، والواصفين لكماله الجلى، لم يصلوا إلا إلى قل من كل لا حد لنهايته. وغيض من فيض لاوصول إلى غايته، ومن ثم كان أبلغ بيت هـــذا المطلع الآتى كما يعلم مما يأتى فيه فى بردة المديح:

فان فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه:

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بماشئت مدحاً فيه واحتكم

ثم يليه:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك ، قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك ، كيف وآى القرآن مفصحة عن علاء بما يبهر العقول ، ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول ، وقد قيل :

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه ... من بعـــد ما مدحت حم تنزيل

فعلم من ذلك أنه لو بالغ الأولون والآخرون إحصاء مناقبه صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم جل جلاله في مواهبه ، ولكان لم بساحل بحرها مقصراً عن حصر بعض نخرها ، ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه :

وعلى تفنن واصفيه بوصفه ... يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ثم قال بعد بضعة أسطر : وقد رؤى العارف المحقق السراج ابن الفارض رضى الله تعالى عنه فى النوم ، فقيل له لم لا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم بالتصريح وإلا فنظمه فى الحقيقة إما فى الحضرة الإلهية أو فيه صلى الله عليه وسلم ، فقال رضى الله عنه :

أرى كل مدح فى النبى مقصراً ... وإن بالغ المثنى عليه فأكثرا
إذا الله أثنى بالذى هو أهله ... عليه فما مقدار ما يمدح الورى

ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبى تمام والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم ، وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه ، فإن المعانى وإن جلت دون مرتبته ، والأوصاف وإن كملت دون وصفه — انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو فى غاية الجودة والقبول .

ثم قال رحمه الله تعالى بعد أربعة أوراق من هذا الكلام ما خلاصته : إن عامة العلماء على جواز التفضيل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للأدلة الصريحة فيه ، وأما قوله تعالى « لا نفرق بين أحد منهم » فهو باعتبار الإيمان بهم وبما أنزل عليهم — وأما الأحاديث الصحيحة (لا تفضلوا بين الأنبياء ، لا تفضلونى على الأنبياء ، لا تخيروا بين الأنبياء) فهى إما قبل علمه صلى الله

عليه وسلم بالتفضيل وأنه أفضلهم ، وإما محمولة على التواضع منه صلى الله عليه وسلم ، لتصريحه بالتفضيل ، أو على تفضيل يؤدى إلى تنقيص أو إلى غض من مقام أحدهم ، وعليهما يدل سياق الحديث . أو على التفضيل فى ذات النبوة أو الرسالة . فإنهم كلهم مشتركون فى ذلك لا يتفاوتون فيه ، وإنما يتفاوتون فى زيادة الأحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات - اهـ مضمون كلامه رحمه الله تعالى وهو حسن جدا .

وإذا تأملت فى قوله تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » ظهر لك الصواب تماما .

هذا وإنه لا يشك فى أفضلية نبينا وسيدنا « محمد » صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق من الملائكة والإنس والجن ، إلا جاهل بأمر دينه لم يمتلىء قلبه من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يشبع من مطالعة مناقبه وشمائله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهرة العطرة .

وما أحلى قول سيدنا حسان بن ثابت ذلك الصحابى الجليل رضى الله تعالى عنه حيث يقول فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأحسن منك لم تر قط عينى ... وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم املأ قلوبنا من محبة عبدك ونبيك وخليلك وحبيبك سيدنا « محمد » وآله وعترته وأصحابه وأنصاره أجمعين .

(إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا ، تسليما) .

اللهم صل وسلم على من عرفنا بك وبدينك الحنيف وبشريعتك الغراء وأنقذنا من الظلمات إلى النور بإذنك وإرادتك ومشيئتك صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك - اللهم صل وسلم على من حياته فوق حياة الناس ومماته فوق ممات

الناس ومقامه فوق مقام الناس صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين بعدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك آمين آمين آمين .

اللهم صل وسلم وبارك على جميع أنبيائك ورسلك وملائكتك الكرام وسلم تسليما كثيرا طيباً مباركا مادامت السموات والأرض. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

وإذا أردت المزيد من البيان فى هذا الباب لتعرف فضائله وخصائصه وخصائص أمته ومعجزاته الباهرة صلى الله عليه وسلم فعليك بالمطولات ففيها البيان الشافى والشرح الوافى . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

هذا ولولا طول مرضنا لكتبنا كثيراً من فضائله صلى الله عليه وسلم لكن مهما كتبنا لا نقدر على إحصاء فضائله ، وتأمل أيضافيما يأتى رحمنا الله تعالى وإياك :

فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية . بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) انتهى - نعم والله إنه صلى الله عليه وسلم سيد الخلق على الإطلاق وإنه أفضل الرسل بلا ريب ، فهو شمس وهم الكواكب النيرات يهتدى الناس بأنوارهم ، على جميعهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وفى هذا يقول الإمام البوصيرى فى البردة :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهم

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

نعم والله إنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء وأقربهم إلى الله تعالى على الإطلاق ، فلقد ختم الله تعالى به المرسلين وأكمل به جميع الشرائع المنزلة ، لا يشك فى هذا من له علم بالكتاب الكريم والسنة المطهرة ، أما قوله صلى الله عليه وسلم (لا تخيرونى على موسى . . .) الحديث - وقوله أيضاً (لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس . . .) الحديث كما فى صحيح البخارى - وقوله أيضاً (لا تفضلوا بين أنبياء الله ...) الحديث كما جاء فى الصحيحين ، فالمراد بهذا النهى التفضيل المؤدى للنقص فى حق بعض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام ، فهذا حرام بالاجماع - كما يعلم ذلك من السبب الذى من أجله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث - فراجع صحيح البخارى وصحيح مسلم عند هذا الحديث ليظهر لك الأمر واضحاً كالشمس - أما تفضيل بعضهم كنبينا « محمد » صلى الله عليه وسلم ، وخليل الله « إبراهيم » وكليم الله « موسى » . وكلمة الله « عيسى بن مريم » وغيرهم على جميعهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ، مع الاعتراف بفضل باقى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحترامهم والإقرار بمنزلتهم العظمى عند الله تبارك وتعالى ، فهذا لا مانع منه بل هو الواقع والحقيقة . فقد قال الله عز وجل فى كتابه العزيز فى سورة البقرة (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) - وكم لشعراء العرب من المدائح فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضله العظيم - بما لا يؤدى إلى تنقيص غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - ولنستشهد هنا بأحد فضلاء الصحابة وهو سواد بن قارب رضى الله عنه فإنه بعد أن أسلم أنشد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :

فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة

إلى الله يا بن الأكرمين الأطايب

وراجع البداية والنهاية للحافظ بن كثير إذا شئت، ولا نحب الإسترسال فى ذكر الشواهد على هذا لئلا يطول بنا الكلام ، فالحق واضح وضوح الشمس فى رابعة النهار - والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

* * *

وما أحلى قول الإمام البوصيرى رحمه الله تعالى حيث يقول فى بردته الشهيرة عن الإسراء والمعراج :

ياخير من يمم العافون ساحته ... سعياً وفوق متون الأنيق الرسم
ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ... ومن هو النعمة العظمى لمغتنم
سريت من حرم ليلا إلى حرم ... كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها ... والرسل تقديم مخدوم على خدم
وأنت تخترق السبع الطباق بهم ... فى موكب كنت فيه صاحب العلم
حتى إذا لم تدع شأواً لمستبق ... من الدنو ولا مرقى لمستنم
خفضت كل مقام بالإضافة إذ ... نوديت بالرفع مثل المفرد العلم
كيما تفوز بوصل أى مستتر ... عن العيون وسر أى مكتتم
فحزت كل فخار غير مشترك ... وجزت كل مقام غير مزدحم
وجل مقدار ما وليت من رتب ... وعز إدراك ما أوليت من نعم
بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا ... من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

* * *

وقال أيضا عن الاسراء والمعراج العلامة الشيخ محمد بن محمد بن محمد

للعزب « بفتح أوله وثانيه ، رحمه الله تعالى فى منظومته التى عملها فى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى منظومة بديعة لطيفة تسمى « مولد العزب » مطبوعة بمطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بالقاهرة . قال :

ثم المشفع لم يزل مترقياً رتباً بحسن كمالها قد أفردا
حتى له الرحمن أرسل رحمة طوبى لمن بقويم ملته اقتدى
وبجسمه والروح أسرى يقظة ولكم عجائب قد أراه وأشهدا
ركب البراق وسار تحت ركابه جبريل يمشى كى ينال السؤددا
إذا أم قدسا فيه أم الأنبيا ورقى لمعراج السرور ليصعدا
ويريه من آياته الكبرى ومن فرض الصلاة الخمس يبلغ مقصدا
ولقاب قوسين الحبيب لقد دنا حتى رأى مولى علا وتمجدا
وبعين راس كان ذاك وقلبه فاحفظ لهذا حيث صح وسددا
وله لقد قال العلى ملاطفا سلنى لتعطى ماسألت وأزيدا
عنه الأمين لقد تأخر هيبة لمـــا به فى النور زج ليشهدا
إذ قال لو قدمت أحرقنى السنا فمقامه بالروح حقا يفتدى
يارب عطر بالصلاة ضريحه وأدم عليه سلام ذاتك سرمدا

اللهم صل وسلم وبارك عليه

وعطر اللهم قبره الشريف بعرف شذى من صلاة وتسليم .

* * *

ولنختم هذا المبحث بما جرى على لساننا من هذه الأبيات وهو :

من مثله وإله الخلق فضله على الخلائق تفضيلا وتكميلا
فقـــد سما شرفا واعتز جانبه هذا هو الفضل تأسيسا وتفضيلا
فى هذه الدار والأخرى لأعظمها
وفى الضحى جاء هذا الفضل تنزيلا
فى سورة الشرح مذكور فضائله وغير ذلك تكريما وتبجيلا

فافهم نبيك واستعظام لرتبته واحفظ لمنته لا تبغ تحويلا
يارب صل وسلم دائما أبدا عليه واغفر لهذا العبد تفضيلا
وارحمه إن وضعوه اللحد منفردا
واجعله بالفضل والإحسان مشمولا
يارب مالى سوى الإيمان من عمل
وحسن ظن عظيم فيك تأميلا

* * *

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

نظم محمد طاهر الكردى مؤلف هذا الكتاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة أمه الشريفة الكريمة فقال :

نبينا « محمد » بن آمنة ابنة وهب من عذاب آمنه
ووهب بن الأشراف عبد مناف كامل الأوصاف
وهو ابن زهرة وذا ابن كلاب وهو ابن مرة تمام الانتساب
فنى كلاب اجتماع النسب من جهة الأم وأيضا من أب
فياله من نسب شريف مطهر محترم التعريف
وكيف لا يكون أشرف النسب وهو لخير الخلق أفضل العرب
نبينا المبعوث بالمكارم إلى جميع الناس والعوالم
صلى عليه بارىء النسيم بأفضل الصلاة والتسليم

وقال أيضاً ستره الله تعالى فى الدارين :

وكم لله من نعماء عندى يضيق بها لسان عن بيان
لحمداً ثم حمداً ثم حمداً
لرب العالمين بلا توان وشكراً ثم شكراً ثم شكراً
له فى كل أوقات وآن

وإنى أستزيد الفضل منه على مر الليالى والزمان

صلاة الله ثم سلام ربى

على طه المبشر بالجنان دواماً هاطلا فى كل حين

مدى سريان أفلاك الزمان

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل وسلم على من حياته فوق حياة الناس ومماته فوق ممات الناس ومقامه فوق مقام الناس صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك .

قال محمد طاهر الكردي المكي الخطاط حينما تشرف بزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة سنة ١٣٨٢

هنا منبع الصدق هنا منزل التقى ... هنا خير خلق الله يثوي ويرقد

رسول إله العالمين "محمد" ... شفيع الملا يوم القيامة "أحمد"

قفوا أمة الإسلام في خير بقعة ... أمام رسول الله والنور فاشهدوا

قفوا وقفة الإجلال يا خير أمة ... أمام شفيع المذنبين لتسعدوا

وصلوا عليه كل حين وسلموا ... كما أمر الله العزيز الممجد

وولوا إلى شطر الشريعة وجهكم ... وقووا صفوف المسلمين ووحدوا

عسى ربنا أن يبدل الحال حالة ... بأحسن منها إنه هو منجد

هذا وقد أراد ناظم هذه الأبيات أسعده الله في الدارين أن يكتبها بالخط الجلي في لوحة كبيرة [illegible] [illegible]

جميلة ويعلقها في الروضة المطهرة. لكنه مريض بعيد عن الكتابة ١٣٨٩

تم طبع هذه الرسالة اللطيفة القيمة فى المرة الأولى ، ونسأل الله تعالى ونحن فى آخر يوم من شهر رمضان سنة (١٣٨٥) هجرية حيث يرجى فيه استجابة الدعوات . أن يختم حياتنا بما ختم به حياة عباده الأبرار وأن يدخلنا فى عباده الصالحين الأخيار ، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يدخلنا الجنة بسلام آمنين ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، بفضله ورحمته وإحسانه ومنته ، إنه سميع مجيب ، وأن يصلح لنا ذرياتنا ويسترنا بستره الجميل آمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ـ سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد طاهر الكردى المكى

غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين آمين

﴿ مناجاة مباركة ﴾

لكَ الحمدُ يا ذا الجُودِ وَالمجدِ والعُلى

تباركتَ تُعطي مَن تشاءُ وتمنعُ

إلهي لئن جلّتْ وجمّت خطيئتي

فعفوكَ عن ذنبي أجلّ وأوسعُ

إلهي وخلاقي وحرزي ومَوئلي

إليكَ لدى الإعسار واليُسر أفزعُ

إلهي لئِنْ أعطيتَ نفسي سُؤْلَها

فها أنا في روضِ الندامة أرتعُ

إلهي تَرى حالي وَفقري وفاقتي

وأنت مُناجاتي الخفيّة تسمعُ

مباحث الرسالة

ص

٥ الخطبة ومقدمة

١١ الفصل الأول فى تبرك الصحابة بالآثار النبوية

٣٤ « الثانى فى صفة النعال النبوية

٣٦ وصف النعل الشريفة

٣٨ صور أنواع من النعال الشريفة

٤٣ حامل نعل الرسول صلى الله عليه وسلم

٤٧ تاريخ ماعثر عليه من النعال الشريفة وما كتب حولها

٥٤ الفصل الثالث فى شدة محافظة السلف على الآثار النبوية

٥٦ تلخيص ماتقدم

٥٨ الفصل الرابع فى ذكر بعض البلدان الإسلامية التى فيها شىء من الآثار النبوية

٦٦ الفصل الخامس فى تبرك الصحابة بتقبيل اليد والرأس والقدم الشريفة

٧٦ السر فى عدم شيوع التقبيل فى تحيته صلى الله عليه وسلم

٨٠ الفصل السادس فيما جاء فى القرآن فى فضله صلى الله عليه وسلم

تمت المباحث

ويليها بيان مؤلفات المؤلف نفع الله بها - آمين

مؤلفات

محمد طاهر الكردى المكى

غفر الله تعالى له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين كافة

لقد تشرف محمد طاهر الكردى المكى بكتابة وطبع « مصحف مكة المكرمة » وكتب بيده على الكثير من الحبوب كالحنطة والأرز كتابات دقيقة من سور القرآن الكريم القصار وبعض الأشعار الأدبية - كما رسم بيده خريطة مفصلة للبلاد العربية بحجم طابع البريد - وأهدى منها لبعض دور الكتب والمتاحف فى مختلف الأقطار -

وإليك أسماء مؤلفاته المطبوعة وغير المطبوعة :

١) التفسير المكى وهو فى أربع مجلدات « مطبوع »
٢) زهرة التفاسير وهو تفسير متوسط الحجم فى ثلاثة أجزاء « مطبوع »
٣) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ومعه رسالة حفظ التنزيل من التغيير والتبديل كلاهما مطبوع مع بعضها
٤) مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام « مطبوع »
٥) إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة « مطبوع »
٦) تحفة العباد فى حقوق الزوجين والوالدين والأولاد « مطبوع »
٧) تاريخ الخط العربى وآدابه « مطبوع »
٨) الهندسة المدرسية « مطبوع »
٩) أدبيات الشاى والقهوة والدخان « مطبوع »
١٠) منظومة فى أشهر بنايات الكعبة المعظمة « مطبوع »
١١) دعاء عرفة « مطبوع »
١٢) حسن الدعاء فيما ورد فى الخط وأدوات الكتابة « مطبوع »

١٣) رسالة فى الدفاع عن الكتابة العربية فى الحروف والحركات « مطبوع »
١٤) الأدعية المختارة « مطبوع »
١٥) النسب الطاهر الشريف « مطبوع »
١٦) تعليق مختصر على تاريخ مكة للقطبى « مطبوع »
١٧) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ـ وهو كتاب كبير يقع فى خمسة أجزاء « مطبوع »
١٨) تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم « مطبوع »
١٩) صورة حجر مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام « مطبوع »
٢٠) بدائع الشعر ولطائف الفن « مطبوع »
٢١) كراسة الحرمين فى تعليم خط الرقعة ـ وهى سبعة أجزاء « مطبوع »
٢٢) نفحة الحرمين فى تعليم خطى النسخ والثلث « مطبوع »
٢٣) لوحة فنية فيها صور الكعبة المشرفة لأشهر بناياتها « مطبوع »
٢٤) لوحة أخرى فى الخطوط العربية « مطبوع »
٢٥) يافطة قومى سيدنا إبراهيم عليه السلام « مطبوع »
٢٦) مجموعة الحرمين فى تعليم خط النسخ « مطبوع »
٢٧) تحفة الحرمين فى بدائع الخطوط العربية ـ وهى مطبوعة على شكل يافطات تباع فى مصر
٢٨) مختصر المصباح والمختار فى اللغة « غير مطبوع »
٢٩) المقارنة بين خط المصحف العثمانى واصطلاحنا فى الإملاء « غير مطبوع »
٣٠) الاستحسان فى وضع علامات الترقيم فى القرآن « غير مطبوع »
٣١) استحالة الإقامة فى القمر والكواكب « مطبوع »
٣٢) رسالة انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى « مطبوع »

٣٣) منظومة فى التعاريف الفقهية « غير مطبوع »
٣٤) عجائب ماروآه التاريخ « غير مطبوع »
٣٥) تراجم من له قوة الحافظة « غير مطبوع »
٣٦) الموعظة الحسنة فى عدم اليأس وفى الصبر والتفويض « غير مطبوع »
٣٧) المحفوظات الأدبية المختارة « غير مطبوع »
٣٨) حسن البساط فى ديوان محمد طاهر الكردى الخطاط « غير مطبوع »
٣٩) البحث والتحقيق فى معرفة معنى الصديق « غير مطبوع »
٤٠) ثلاثة رسائل فى المناسك ودعاء عرفة والأدعية المكية « مطبوع »
٤١) كتاب عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام « مطبوع »
٤٢) الأحاديث النبوية فى الآداب الدينية والتربية الإسلامية « مطبوع »
٤٣) الشوق والرغبة فى معرفة ماحصل فى الكعبة . فى العهد السعودى »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جميع نعمائه ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ، وعلى آله وجميع أصحابه ، وبعد ، فيقول الفقير الذليل ، لربه العظيم الجليل ، محمد طاهر ابن عبد القادر الكردى المكى : من الواجب علينا وقد انتهى طبع كتابنا هذا على خير مايرام ، أن نسجل شكرنا هنا لصديقنا العزيز الحاج عبد الرحمن حافظ الخطاط شيخ الختامين بالقاهرة ، على ماقام به من الخدمات الجليلة بالإشراف على طبع هذا الكتاب الفريد ، وما بذله من الجهد فى سبيل إخراجه بهذه الصورة الجميلة ، وعلى نشاطه العظيم فى إخبارنا بسير الطبع على مايرام مرحلة فرحلة ، وإرساله لنا مايطبع من الكتاب من الملازم أولا فأولا بدون تأخير ، كل ذلك وفاء بعهد صداقتنا وأخوتنا التى دامت بيننا نصف قرن ، فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ، وحفظه وأهله وأولاده من كل سوء ورزقه رزقا حلالا واسعاً ، وأنعم عليه بالصحة والعافية والسلامة من الفتن والأهواء ، وجمعنا معه فى مستقر رحمته فى جنات النعيم بفضله ورحمته آمين آمين آمين .

كتبه
مؤلف الكتاب
محمد طاهر الكردى المكى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٩٥٨/ ١٩٧٤ م





* أحمد * حامد * محمود * أحيد * وحيد * ماح * حاشر * عاقب * طه * يس * طاهر * مطهر * طيب * سيد * رسول * نبي * رسول الرحمة * قيم

* جامع * مقتف * مقفي * رسول الملاحم * رسول الراحة * كامل * إكليل * مدثر * مزمل * عبد الله *

* حبيب الله * صفي الله * نجي الله * كليم الله * خاتم الأنبياء * خاتم الرسل *

* محي * منج * مذكر * ناصر * منصور * نبي الرحمة * نبي التوبة * حريص عليكم * معلوم * شهير * شاهد * شهيد * مشهود * بشير * مبشر * نذير *

منذر * نور * سراج * مصباح * هدي * مهدي * منير * داع * مدعو * مجيب * مجاب * حفي * عفو *

* ولي * حق * قوي * أمين * مأمون * كريم * مكرم * مكين * متين * مبين *

* مؤمل * وصول * ذوقوة * ذو حرمة * ذو مكانة * ذوعز * ذو فضل * مطاع * مطيع *

* قدم صدق * رحمة * بشري * غوث * غيث * نعمة الله *

* هدية الله * عروة وتقي * صراط الله * صراط مستقيم * ذكر الله * سيف الله * حزب الله * النجم الثاقب * مصطفي * مجتبي * منتقي * امي * مختار

* أجير * جبار * أبو القاسم * أبو الطاهر * أبو الطيب * أبو إبراهيم * مشفع * شفيع * صالح * مصلح * مهيمن * صادق * مصدق * صدق * سيد

المرسلين * إمام المتقين *

* قائد الغر المحجلين *

* خليل الرحمن * بر * مبر * وجيه * نصيح * ناصح * وكيل * متوكل * كفيل * شفيق * مقيم السنة *

* مقدس * روح القدس * روح الحق * روح القسط * كاف *

* مكيف * بالغ * مبلغ * شاف * واصل * موصول * سابق * سائق * هاد * مهد * مقدم * عزيز * فاضل * مفضل * فاتح * مفتاح *

* مفتاح الرحمة * مفتاح الجنة * علم الإيمان * علم اليقين * دليل الخيرات * مصحح الحسنات * مقيل العثرات *

* صفوح عن الزلات * صاحب الشفاعة * صاحب المقام * صاحب القدم * مخصوص بالعز * مخصوص بالمجد * مخصوص بالشرف * صاحب الوسيلة *

صاحب السيف * صاحب الفضيلة * صاحب الازرار * صاحب الحجة * صاحب السلطات * صاحب الرداء * صاحب الدرجه الرفيعة * صاحب التاج * صاحب

المغفر * صاحب اللواء * صاحب المعراج * صاحب القضيب * صاحب البراق * صاحب الخاتم * صاحب العلامة * صاحب البرهان * صاحب البيان * فصيح

اللسان * مطهر الجنان *

* رءوف رحيم *

أذن خير * صحيح الإسلام * سيد الكونين * عين النعيم * عين الغر * سعد الله * سعد الخلق * خطيب الأمم * عالم الهدي * كاشف الكرب * رافع الرتب *

عز العرب * صاحب الفرج *